



بالاشتراك مع هارلكوين [illegible]

رحلة العمر الى شواطئ اليونان وجزرها

ستيلا فرانسيس نيل

ابتسامة وحيدة



١٤٤

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No.144

ابتسامة وحيدة

هل ينتهي العالم عندما يفشل الحب الأول؟ نوريا أغلقت على باب قلبها شارة ممنوع الدخول بعد انهيار خطوبتها وسافرت الى صديقتها لتداوي جراحها العميقة، وهناك عرض عليها سكوت ميلوره العمل كمربية لابنته.

[illegible] الطفلة [illegible] عاطفي [illegible] الطفلة [illegible] التي [illegible] الوحيدة ابتسامة [illegible] على [illegible] الزواج منه للارتباط.

رجل وامرأة محصنان ضد مرض الحب. هل تصيبها سهامه الجميلة بنارها فينقلب الثلج الى لهب؟ أم ان ظهور ايلان الزوجة السابقة يغير كل الموازين؟

لبنان [illegible]	الكويت [illegible]	اليمن [illegible]	السودان [illegible]
سورية [illegible]	الامارات [illegible]	تونس [illegible]	UK [illegible]
الأردن [illegible]	البحرين [illegible]	ليبيا [illegible]	France F [illegible]
العراق [illegible]	قطر [illegible]	المغرب [illegible]	Swiss [illegible]
السعودية [illegible]	سلطنة عمان [illegible]	الجزائر [illegible]	Cyprus [illegible]

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية

DESTINY IS A FLOWER

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
39 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 512, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ - البكاء على الأطلال

راقبت تيريزا ستانتون القطار وهو يختفي في غابة كثيفة الأشجار، وكأن الطبيعة ابتلعته كلقمة صغيرة. حاولت الحد من توتر أعصابها المتزايد بطريقة مرضية نتيجة أسباب متعددة، فلها الحرارة الخانقة والرطوبة القاتلة. حولت نظرها واهتمامها إلى المحطة الغارقة في بحر من الغبار، وغابت في جو عزلتها وانفرادها. ثم أخرجت فجأة رسالة من حقيبة يدها، وراحت تقرأها بسرعة علها تجد فيها أشياء جديدة.

تنهدت بارتياح ... فهذا هو اليوم المحدد، والمكان المطلوب، والوقت الصحيح. ولكن، أين هما دان وماري؟ تمنت تيريزا من صميم قلبها ألا يكون تأخيرهما بسبب عطل في سيارتهما، أو أي مشكلة أخرى واجهتهما في طريقهما إليها. وقرأت ما كتبته لها ماري روورك للمرة العاشرة:

«عزيزتي تيريزا، دان وأنا مسروران جداً لقبولك دعوتنا. في أي

حالاً. لم أرك منذ فترة طويلة جداً . . . على الرغم من وعودك المتكررة. نحن في غاية الشوق اليك، ويبدو ان استقالتك وحدها هي التي حملتك اخيراً على قبول دعوتنا الملحة. لماذا استقلت من وظيفتك، وكيف واجه الطبيب ديريك نبأ تخليك عن عملك في مأوى العجزة . . . والذي يفتخر كثيراً بادارته؟ هل اسمع اجراس عرس تقرع من بعيد؟ تجاهلي سخافتي هذه، ايتها الحبيبة، فأنا اهذي. أكاد اجن بسبب موت امي، ولكن حضورك سيطرد الحزن العميق من قلبي ويبعد الجنون عن عقلي. ستحبين ملاكنا الصغير جانيس تيريزا وينرك. لا لأننا اعطينا لها الاسم الذي تيمناً بك . . . بل لأنها طفلة رقيقة. اما دان، فهو لا يزال كما هو، يعاني بأسلوب الغزل الرتيب. انتظر قدماً وصولك، كي تساعديني على الحد من تصرفاته المزعجة هذه. اسمعك تضحكين؟ طبعاً. انا امزح.

لن اطيل الكلام. سنكون بانتظارك، ايتها العزيزة الغالية، في محطة جونا . . . في العاشرة والنصف من صباح الجمعة. هذا هو الموعد الرسمي لوصول القطار، مع انه لا يصل ابداً في الوقت المحدد له. ارجو الا تتعطل هذه التي تسمى سيارتنا بأي عطل مفاجىء كعادتها. لا، لا تخافي. ستنتظرك في المحطة، حتى ولو اضطررت لدفع هذه العربة القديمة بيدي . . . اخي يريد دان. الى اللقاء، يا حبيبتي. التوقيع: ماري».

طوت تيريزا الرسالة مبتسمة بمرح وسرور، مع انها قرأتها مرات عديدة قبل ذلك. تمتعت بأسلوب ماري العفوي رغم العقد، وتمنت لو ان بامكانها ايجاد اسلوب مماثل لابلاغها ذلك عن فسخ خطوبتها. حركت شعرها الاشقر العسلي بشيء من العصبية، وهي تشعر بغيوم الافكار المقلقة والمريرة تخيم على قلبها وعقلها المرهقين. فجأة: لمحت رجلاً عجوزاً يقترب منها. هرعت نحوه بتلهف، ظناً منها انه آت من قبل دان وماري. تأملها ترسكوت بضع لحظات، ثم هز

رأسه وقال:

- هل انت الشابة الآتية الى ريتشموند؟ تصورتك اكبر سناً، لأن الآنسة مايفنا ستكون عبئاً ثقيلاً بالنسبة الى صغيرات السن امثالك! اوه، يا سيد سكوت، ملذا دهاك!

حاولت الرد عليه، ولكنه ادار وجهه نحو سيارة جميلة رمادية اللون توقفت قربهما. لم تكن الشابة الصغيرة الجالسة في السيارة اقل ذهولاً واستغراباً من العجوز العصبي المزاج . . . ومن تيريزا نفسها. ترجّل السائق الأسمر الوسيم من سيارته، وراح يتأملها بدهشة مماثلة. تطلعت تيريزا الى الوجه البرونزي، فقرأت فيه غطرسة وغضباً. لمحت النظر في عينيه وشعره، وملامح وجهه القاسية. رفع رأسه بانفعال ظاهر، وقال بصوت قوي رنان يتسم بالحدة والانزعاج:

- اللعنة! لا شك في ان تلك المرأة فقدت عقلها! كنت واضحاً جداً معها عندما طلبت شخصاً اكبر سناً واكثر كفاءة ومقدرة!

افاقت تيريزا من ذهولها، وردت عليه بلهجة تنم عن سخرية مشابهة:

- ليست لدي الكفاءة والمقدرة؟ يا لهول ما اسمع! هل لي ان اسألك كيف عرفت ذلك؟

- يا للعصبية! تجهلين ايضاً نوع المؤهلات الضرورية والمطلوبة! هذه هي النهاية بعينها!

نظر بحدة الى الرجل العجوز، ثم قال:

- هيا، يا ترسكوت، فالحفلة انتهت!

حمل الرجل الغريب حقيبتها ورماها على المقعد الخلفي للسيارة، ثم قال لها:

- من المؤكد انك متعبة جداً بعد هذه الرحلة الطويلة والمضنية. هيا، يا آنسة . . . سأتذكر اسمك خلال لحظات. اجلسي في المقعد الامامي. سوف نبحث في المهام الموكلة اليك، بعد ان تمضي فترة

كافية من الراحة.

فتح لها باب السيارة بتهذيب واحترام، ولكنها ظلت في مكانها بدون حراك وقالت له:

- تيريزا ستانتون. كيف حالك، يا سيد؟

استدار الرجل نحوها بسرعة، ثم تأملها ثانية وقال:

- ليس هذا اسم طالبة الوظيفة . . . هل قلت ستانتون؟ لا بد انك الفتاة التي ينتظرها دان . . . اوه، كم انا مسرور لأنك لست المربية التي ستهتم بابنتي! ماذا حل بتلك السيدة الغبية؟

تطلع حوله بحدة، وكأنه يتوقع ظهور شخص من باطن الأرض، ثم نظر مرة اخرى الى تيريزا، وقال لها بهدوء:

- اعذريني، يا آنسة ستانتون. اسمي سكوت ميلوارد. يبدو ان دان تأخر لسبب ما، فهل يمكنني ايصالك الى بيته؟ ليس المكان بعيداً عن منزلي، ولن اشعر بالتالي بأي انزعاج في حال مرافقتك الى دعوتي.

كانت تيريزا في تلك اللحظات تشتعل غضباً وانفعالاً، ولكنها تمكنت من السيطرة على نفسها واعصابها. سمعت صوت محرك سيارة، فتأكد لها وصول دان او ماري. رفعت رأسها بشموخ، وقالت له:

- شكراً لك، يا سيد ميلوارد، فليس من الضروري ابداً ان تزعج نفسك. هل يمكنني الآن استرجاع الحقيبتين، فثمة شخص أتى لاستقبالي.

- ازعج نفسي؟

تنهدت تيريزا بحدة، وهي تتذكر الظروف لأنها ليست مربية سليمة. اقترب منها دان زورك بحماسة ظاهرة، فرمت نفسها بين ذراعيه. ضمها اليه بقوة ورفعها عن الأرض، وقال:

- ها قد اتيت حبيبتي الصغيرة لتنير ايامي المظلمة. تيريزا، تيريزا! انا سعيد جداً بمجيئك. انت اجمل بكثير من السابق!

ابتسم العجوز مايك ترسكوت، وقال:

- اوه، ماذا ارى!

- نعم، يا مايك. أليست رائعة الجمال؟ ايك ان تخبر ماري عما شاهدته الآن، ايها الكبش العجوز. مرحباً، يا سكوت! الم تصل بضاعتك بعد؟ بضاعتي انا اصبحت هنا. يا لها من بضاعة!

ثم استدار نحو تيريزا، واضاف قائلاً:

- لم تتمكن ماري من الحضور، ايتها العزيزة، لأن ابنتنا الصغيرة تعاني من اوجاع في اذنها. لا تقلقي فهي بخير والحمدلله. هل تعرفت الى سكوت، ايتها الحبيبة؟ انه مرشحنا لرئاسة لجنة الامهات والفتيات.

- نعم، تعرفنا.

غابت الابتسامة المرحة عن وجه دان المفعم بالبهجة والانشراح، نتيجة النبرة الباردة والجافة التي لاحظها في صوت تيريزا. تطلع نحو سكوت بشيء من الاستغراب، فقال له الرجل الآخر وهو يصعد الى سيارته:

- تعرفنا الى بعضنا، يا دان.

اغلق الباب وراءه، ومضى الى القول:

- حدث بيننا سوء تفاهم، ناجم عن توقعي لشخص آخر. اعتذر عن ذلك . . . اذا كان هذا الأمر يستدعي الاعتذار.

لوح بيده وانطلق بسيارته العتاق، قبل ان تتمكن تيريزا من التعليق على كلامه. تطلعت نحو دان، الذي يقف قربها مذهولاً ومستغرباً هذا العداء السافر، وسألته بلهجة حافلة للتأكد من معلوماتها:

- من . . او بالأحرى، ما هي البضاعة التي ينتظر هذا الرجل وصولها، يا دان؟

- كان سكوت يتوقع حضور مربية لابنته، و . . .

قاطعته بحدة، وكأنها لم تسمع كلامه:

- لو كان الأمر يستدعي الاعتذار؟ يا للوقاحة! هل أبدو، يا دان، كشريرة عجوز شمطاء؟

ابتسم دان برقة لصديقة زوجته، وقال لها:

- طبعاً لا، أيتها الحبيبة، فأنت جميلة الجميلات ورمز الجمال.

- اذن، فأنا استحق منه اعتذاراً. أليس كذلك؟ ألم يقل انه سيعتذر، اذا كان الأمر يتطلب ذلك؟ سأطالبه بالاعتذار وأحصل عليه، حتى ولو كانت هذه الخطوة آخر شيء أقوم به في حياتي.

ضحك الرجل العجوز، وقال:

- أوه، يا سيد دان، انها فعلاً مهرة جامحة المزاج.

ثم التفت نحو تيريزا، وأضاف قائلاً:

- استحقيت عطراً يا آنسة. في أي حال، سوف تحتاجين بالتأكيد الى مثل هذه الطباع لكي تتمكني من مواجهة ذلك الرجل.

تدخل دان وسألها بهدوء يخفي بعض القلق:

- الم تبلغيه عمن تكونين؟

- لم تسنح لي أي فرصة. وجه الي كلمات قاسية ولاذعة بالنسبة الى عمري ومؤهلاتي. قال لي انه . . .

لم تنه جملتها، لأنها لاحظت بشيء من الدهشة عدم اكتراث دان بما تقوله . . . أو حتى بما تشعر به. حمل حقيبتها ووضعها بعناية على المقعد الخلفي، ثم قال لها:

- هيا لنذهب الآن، أيتها الحبيبة، قبل أن تأتي ماري للبحث عنا. انها مشتاقة كثيراً لرؤيتك.

جلست قربه، وقد بدأ غضبها يخف بصورة تدريجية. تباً لسكوت ميلورد ولإهاناته المتكررة! فهي في طريقها لمقابلة صديقتها المفضلة، ومشاهدة الطفلة الطيبة التي سمعت عنها الكثير.

التقت ماري هذا المزارع القوي، وتزوجته بعد عاصفة من الغرام والهيام لم تدم سوى بضعة أيام. تركت بريطانيا فور الانتهاء من معاملات الزواج واعداد الأوراق والوثائق المطلوبة، واتت لتسكن

معه في هذه المنطقة البعيدة عن المدنية والحضارة وتساعده في زراعة التبغ.

أدار دان محرك السيارة، فلوحت بيدها للرجل العجوز . . . الذي احنى لها رأسه تهذيباً واحتراماً. تطلع دان نحوها، بمجرد خروجها من منطقة المحطة، وقال:

- آسف جداً على هذا التأخير، أيتها العزيزة. تعطلت هذه السيارة اللعينة كعادتها، فاضطررت للتوقف بعض الوقت لاصلاحها. اعتقد انني بحاجة ماسة لشراء سيارة، فالتي نستعملها الآن لا تستحق هذا الاسم منذ زمن بعيد. سأذهب الى العاصمة في الشهر المقبل لابتياع سيارة تليق بصديقتك الحبيبة. كيف كانت رحلتك؟ كلا لا أسألك، فمن المؤكد انها كانت طويلة ومرهقة جداً.

- هل لا نزال بعيدين كثيراً؟

- سنصل بعد ساعة من الآن. انظري، هذه هي حدود أرضي.

تأملت تيريزا تلك المنطقة، وقالت بشيء من الاستغراب:

- لماذا تترك مثل هذه الكميات الهائلة من النباتات البرية، تصل الى هذه الدرجة من الضخامة والارتفاع، يا دان؟

- نباتات برية، يا فتاة المدن الغافلة! هذا هو التبغ، أيتها العزيزة.

كانت ماري رورك واقفة على الشرفة الأمامية، عندما وصلت سيارة دان. ركضت نحو صديقتها بلهفة واضحة، وعانقتها بحب وحنان وهي تقول:

- تيريزا، أيتها الحبيبة. جئت أخيراً، وأنت الآن أجمل من أي وقت مضى! دعيني أنظر اليك وأتأملك! تبدين وكأنك آتية من احدى الحفلات الراقية، وليس من رحلة مضنية في قطار قديم ومنه الى سيارة مهترئة!

ثم تراجعت خطوة الى الوراء، واضافت مازحة:

- لدي انتقاد واحد، وهو انك فقدت بعض وزنك.

كانت الدموع تنهمر من عيني تيريزا، ولكنها سيطرت على عواطفها وقالت باسمة:

- ايتها الحبيبة، ماري! انا سعيدة جداً برؤيتك، ولكن . . . لا تلعبي معي دور الأم المشفقة. صحتي جيدة، ووزني مناسب، ولم افقد أياً من اسناني.

ابتسم دان وقال لزوجته وصديقتها:

- هيا، هيا لندخل . . . يكفي ثرثرة!

ثم سأل ماري، وهو يفتح الباب:

- كيف هي لعبتنا الصغيرة الآن؟

- انها نائمة. اعتقد ان بوسعنا ان نشرب الشاي الآن، ومن ثم يمكن لتيريزا مقابلة مليكة هذا البيت.

جلست تيريزا في مقعد وثير، ثم خلعت حذاءها وتنهدت بارتياح ظاهر. ابتسمت ماري نتيجة تصرف صديقتها الطبيعي، الذي لا يزال كما هو منذ فترة الدراسة. وقالت لنفسها ان بإمكان تيريزا الاعتراض على موضوع الوزن، ولكن الفرق واضح للغاية. ثم . . . لماذا هذا الحزن الذي يسكن عينيها الزرقاوين الجميلتين؟ اين هي البهجة التي كانت تعم ملامح وجهها، وتظهر جلياً في تصرفاتها ونبرة صوتها؟

انتهى دان من شرب الشاي قبلهما وقام من مكانه، متحججاً بأن اعمال الرجال لا تنتهي. ولدى وصوله الى الباب، استدار نحو ماري وقال لها:

- لم تصل الفتاة التي كان سكوت ينتظرها. اذا توقفت قليلاً عن استرجاع ذكريات الماضي المجيد، فسوف تتمكن تيريزا من الاطلاع على التفاصيل. لديها معلومات اولية عن زعيم وستيفونت لانها . . .

خرج دان مسرعاً قبل انهاء جملته، فالتفتت ماري نحو تيريزا وسألتها بكثير من الحماسة:

- اوه، هل تقابلتما؟ أليس رجلاً رائعاً؟

- رائعاً؟ لا، يا عزيزتي، انه بعيد كل البعد عن هذا الوصف! انا شخصياً اعتبر تصرفاته غير لائقة ابداً، واقرب ما تكون الى تصرفات الوحوش او آكلة لحوم البشر!

ثم راحت تشرح لها تفاصيل اللقاء العاصف مع سكوت ميلوارد. وما ان انتهت، حتى ضحكت ماري بصورة غير متوقعة وقالت:

- اوه، هذه هي فعلاً طريقة صديقنا سكوت في معاملة الآخرين. انه صريح للغاية، ولا يعرف المراوغة او المجاملة. اعذريه على تصرفه هذا، فمن المؤكد انه شعر بصدمة قوية عندما شاهدك انت عوضاً عن السيدة التي يتوقعها. سوف تتركه مربية طفلته في المستقبل القريب لتتزوج، ولذا يعتمد على وصول السيدة الأخرى لكي تتدرب بعض الوقت على الاسلوب المطلوب.

شعرت تيريزا فجأة برغبة قوية لمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذا الرجل . . . الصريح. سألتها بلهجة عادية الى درجة التصنع:

- ما هو عمر ابنته، واين هي زوجته حالياً؟

- مليندا في الرابعة، وهي فتاة طيبة جداً، والدها متعلق بها الى درجة مذهلة. اما زوجته . . . فقد تركته قبل عامين تقريباً، وأدى ذلك الى كثير من المرارة والحنق.

استغربت تيريزا الى حد الصدمة، تصرف هذه الامرأة. كيف تترك بيتها وتتخلى عن طفلتها الصغيرة؟ هل لديها يا ترى اي اسباب على الاطلاق تبرر هذا العمل الارعن؟ سألت صديقتها بصراحة:

- لماذا هجرته؟

ظلت ماري صامتة بعض الوقت، ثم قالت:

- يصعب كثيراً تفسير ذلك، يا تيريزا. ايلاين ابنة مدينة، ومعتادة على حياة الترف وكافة اسباب اللهو والراحة. سكوت لا يتحدث كثيراً عن الموضوع. كل ما اعرفه انه التقاها في نيويورك، ثم تزوجا

هناك. ولكنها لم تكن سعيدة كثيراً هنا . . . في البراري، كما كان يحلو لها تسمية هذه المنطقة من العالم. ثم . . .

سمعتا صراخ طفلة رضيعة، فتوقفت ماري عن الاسترسال في هذا الموضوع وقالت:

- سأخبرك المزيد في وقت لاحق. تعالي لأعرفك على . . . سيدة البيت الصغيرة.

حملت تيريزا ابنة ماري بمحبة وحنان، وقالت باسمة:

- انها رائعة، رائعة!

- هذه هي جانيس تيريزا روزك التي تحبك كثيراً.

التقت النظرات، فلاحظت ماري غمامة حزن تخيم على عيني صديقتها. تأملتها برهة، ثم قالت لها:

- ثمة اشياء تزعجك، يا تيريزا. اخبريني عنها.

- لا اعرف كيف، ايتها الحبيبة. لم اعد قادرة على تحمل . . .

غصت واغرورقت عيناها بالدموع، فاخذت ماري ابنتها منها وقالت بحنان:

- حسناً، يا حبيبتي. انت الآن بحاجة الى حمام ينعشك ويريح اعصابك. سوف نتناول طعام الغداء بعد قليل، ثم نعود الى الثرثرة. لست بحاجة لاطلاعي إلا على القدر الذي تريدين، ولديك الوقت الكافي لذلك. هيا لأريك غرفتك.

تساءلت ماري، وهي في الطريق الى الغرفة المخصصة لصديقتها، عما اذا كان السبب عائداً الى ذلك الطبيب ديريك . . . الذي لم يعجبها منذ البداية.

تناول الثلاثة طعامهم الشهي، وعاد دان الى عمله. وبعد القيلولة التي اخذتها تيريزا بناء على اصرار ماري، جلست الصديقتان على الشرفة صامتتين. وفجأة، قطعت تيريزا حبل الصمت قائلة:

- ماري، لا بد لي من اطلاعك عما جرى. انت صديقتي

الوحيدة، ومن واجبي ابلاغك تفصيلاً بما حدث.

ثم تنهدت، ومضت الى القول:

- صدقيني اولاً انني لا ادري كيف بدأت قصتي. احببت التمريض كثيراً، كما تعلمين، وكنت وديريك ننعم بخطوبة ونتطلع قدماً الى زواج سعيد ودائم. كانت هذه مشاعري انا، على الأقل. اوه، ماري، لماذا لم يثق بي؟ لم اكن اتصور ابداً اننا سنكون بحاجة لمثل هذه الكلمة . . . ثقة! هل تذكرين موظف المكتب العقاري الذي وجد لنا شقتنا؟

- ميتش سوندرز؟ نعم، اذكر محاولاته اليائسة للتودد اليك . . . والتي ازعجتنا في بعض الأحيان. واذكر ايضاً ملامح وجهه عندما اقتنع اخيراً بانه يضيع وقته مع شابة . . . مرتبطة بغيره. اوه، كم كان تصرفك معه بارداً ومؤلماً! لن انسى ابداً نظرات العاشق المسكين عندما طلبت منه مغادرة الشقة! هيا، اكملي!

- كانت لديه اخت تدعى سيلفيا . . . ارملة، وثرية الى درجة التخمة.

- وما علاقتها بالموضوع؟

- اعجبها خطيبي، يا سيدتي. اعجبها كثيراً، لأنه كان لديه كل ما تطمح اليه . . . مكانة رفيعة في المجتمع، ثروة لا بأس بها تجعله غير راغب بأموالها، وبيت جميل في الحي الارستقراطي المناسب. انا متأكدة تقريباً من انها هي التي كانت سبب مشكلتي الحالية. رفضت محاربتها. التقيناها مراراً في الحفلات والمناسبات الاجتماعية، وكانت تبذل كل مرة جهوداً مضنية لجذب اهتمامه والاستئثار بانتباهه. تمطره اطراءً وثناءً، ويتقبل طبيبي الوسيم كل ذلك برحابة صدر . . . وسعادة. لم يتخل ابداً عن حبه لي او اهتمامه بي، ولكنها مهدت له الطريق بعناية فائقة. المسكين! انني حقاً اشفق عليه!

توقفت لحظة، ثم تابعت بهدوء حزين:

- الأمر الذي لا يمكنني تناسيه او غفرانه هو عدم ثقته بما حدثته

منه، ورفضه العنيد لما قلته له. اصر على القول انه ليس من الممكن ان تخدعه عيناه. وهكذا كان!

ـ هكذا كان ماذا، يا تيريزا؟

ـ لن اكمل ما لم اتأكد انك ستصدقينني.

تأملتها ماري فترة طويلة، وكأنها تذكرها بعمق الصداقة التي تربط بينهما. اقتنعت تيريزا بذلك التأكيد الصامت، وقالت:

ـ شكراً، يا ماري، واعذريني على هذا التشكك الذي لا ضرورة له اطلاقاً. لم اكن مضطرة ابداً للتحدث معك انت عن الثقة، ولكن الاحداث التي مرت بي في الفترة الاخيرة جعلتني انظر الى الحياة والكل اتطلع من زاوية غير صحيحة. ها قد عدت الى الكلام الفارغ.

ـ لديك كل الوقت لتفعل ذلك، فأنا هنا ولن اختفي.

ـ اتصل بي ميتش سوندرز في احد الايام، وبدا كأنه يجد صعوبة في اختيار الكلمات المناسبة. كان يتحدث بانفعال عن اخته، ويريد مني نصيحة طبية. قلت له اني عرفتها في سنتها الثالثة، وطلبت منه الاتصال بأحد الاطباء. قاطعني بعصبية بالغة، مصراً على التحدث معي اولاً كي انصحه بما سيفعل. سألته عن مشكلة اخته التي تبدو بصحة ممتازة، فلم يجب لفترة طويلة. ثم قال لي بصوت منخفض ينم عن الخجل الشديد، انه اكتشف بين اوراق شقيقته معلومات متعلقة ومؤلمة عن صحتها، وانها لا تفعل شيئاً لمعالجة نفسها. طلبت منه ان يأخذها فوراً الى احد المستشفيات، ولكنه قال انها من النوع الذي لا يمكن ارغامه على اي عمل لا تريده... وخاصة انها بحاجة للاقتراح من اخيها. توسل الي لاقبل بمرافقته الى مكان ما، لكي نبحث الامر بالتفصيل. ورجاني ان اطلب من الطبيب ديريك ماك التحدث معها، علّه يتمكن من اقناعها. وعدني باطلاعي على كافة التفاصيل المتعلقة بصحتها، لأنه يثق باستقامتي. يا لهذه الكلمة! دعوته الى الشقة ولكنه رفض ذلك، قائلاً انه لا يريد احراج خطيبة الطبيب بأي شكل او آخر. اتفقنا في نهاية الامر على اللقاء في احد

المطاعم، وما ان انتهينا من حديثنا، حتى اتصل بي ديريك ودعاني الى السهرة. كنت حائرة ومترددة، فقلت له انني افضل عدم الذهاب بسبب التعب والارهاق. اخبرته ذلك في وقت لاحق. صدقيني، يا ماري، لم اكن انوي خداعه. وعدت ميتش بطلبه لطف نبيل، وقررت في تلك اللحظة الا افشي سره لاحد... حتى لديريك. اوه، كم كنت غبية ورعناء!

كانت ماري تصغي اليها باهتمام بالغ، مما شجعها على متابعة الحديث بدون تردد او حرج. قالت:

ـ وجدت ميتش في سيارته على منعطف قريب من المطعم. بدا منفعلاً بعض الشيء، وقال ان المطعم مكتظ بالزبائن... وقد نلتقي احداً من معارفنا ونتعرض بالتالي لثرثرة لا غنى عنها. لم يخطر ببالي ابداً آنذاك سبب هذا التحول المفاجئ في تصرفاته واهتمامه المتزايد بالحفاظ على سمعتي. بدا قلقاً للغاية، فقبلت اقتراحه بالذهاب الى مكان آخر. ذهلت عندما اوقف السيارة في مكان يشرف على المدينة. لم اعترض على الفور، فقد ظننت انه يحاول ايجاد الكلمات المناسبة لاطلاعي على تفاصيل المشكلة الصحية لاخته. سألني بتردد عن صحتي واحوالي، مضيفاً انه لم يرني منذ فترة طويلة، فأجبته انني بخير، وطلبت منه الدخول في الموضوع. لاحظت انه يماطل بعض الشيء، ويتأمل منعطف الطريق بشكل دقيق. وما هي الا لحظات، حتى اقترب مني وكأنه يتفادى انوار سيارة كانت مقبلة نحونا ببطء شديد. توقفت السيارة الثانية قربنا ونزل منها... ديريك! يا للكارثة! فتح بابي وسألني بتهذيب بالغ اذا كان بامكانه ايصالي الى البيت، بعدما تنشقت ما يكفيني من الهواء اللطيف... والنسيم العليل. كان المشهد، يا ماري، مثيراً للضحك.

ـ يا له من تصرف احمق!

ـ لا، ايتها العزيزة، فقد تصرف كسيد محترم طوال الوقت. تطلعت نحو ميتش كي يبادر الى شرح الموقف، ولكنه امسك بمقود

سيارته وقال ان بحث الموضوع يحتمل التأجيل الى وقت لاحق. الخسيس! شعر المسكين ديريك وكأنه اصيب في الصميم. قال له ان ذلك لن يتم ابداً، اذا كان الأمر عائداً اليه. ودعه بلهجة جافة وعجلة مقتضبة، ثم ذهبنا.

وراحت تيريزا تسرد على صديقتها تفاصيل ما جرى بعد ذلك. ذلك انها وقفت امامه بعزة وكبرياء، وهو يسألها عما اذا كان وجودها مع ميتش هو ضمن موضوع اليوم باكراً. تهيأت بالارتياح والضيق، ثم بدأت تعيد على مسامع ماري تفاصيل الحوار الذي جرى بينها وديريك.

- لا ازال ادري اليوم باكراً، يا ديريك. كنا على وشك بحث مسألة مفاجئة تتطلب التكتم والسرية.

- اوه، سرية الى درجة كبيرة . . . كما لاحظت! كانت السرية بالطبع تحتم عليه الاقتراب منك الى تلك الدرجة!

- اتصل بي ميتش وطلب مقابلتي لبحث موضوع خاص، وعد بأن يبحثه معك انت بالذات في وقت لاحق.

- لا شك في انه خاص جداً، لدرجة ان بحثه يتطلب مغادرتك شقتك ومقابلته في منطقة تسمى . . . طريق العشاق.

- اوه، ديريك! لا تكن سخيفاً! لم يكن الأمر هكذا على الاطلاق. المسألة طبية، وليس فيها اي شيء آخر. هل ارتاح بالك الآن؟

- مسألة طبية؟ ارتاح بالي؟ هل تحاولين الايحاء لي بان ميتش يسعى للحصول على مساعدتك لانقاذه من ورطة مع احدى صديقاته؟

- لا اعرف تفاصيل المشكلة، لأنه لم يتمكن من اطلاعي عليها بسبب مجيئك. كل ما اعرفه ان لديه مشكلة مع احدى النساء؛ ولكن ليس بالطريقة التي تعنيها او تتصورها ثم . . . كيف تجرؤ على التلميح بانني اتورط في . . . ! اوه، كيف عرفت بوجودي هناك؟

- تلقيت اتصالاً هاتفياً . . . من مجهول.

- مجهول! هذه مكيدة، يا ديريك، وسوف اصارحك بكل شيء. من المؤكد ان سيلفيا لا تعاني من اي مشكلة صحية، وميتش الخائن الحقير هو الذي رسم المخطط للايقاع بيننا!

- سيلفيا؟ ما بها؟ هل هي مريضة؟ اشرحي لي الأمر بالتفصيل، يا عزيزتي.

- اتصل بي ميتش للتحدث معي على انفراد بصدد مرض ما تعاني منه سيلفيا. كان متوتر الاعصاب الى درجة تثير الشفقة، ووافقت على اقتراحه لهذا السبب فقط.

- ولماذا قيل لي انها لم تكن المرة الأولى التي تتواعدان فيها معاً في ذلك المكان؟

- ربما، ديريك! الا يمكنك الوثوق بكلامي؟ انت تثق بي بالتأكيد، اليس كذلك؟

- اتت سيلفيا اليوم الى العيادة لأعالجها من مشكلة بسيطة، لا تستدعي اطلاقاً مخاوف شقيقها. . . كما ورد في روايتك للقصة.

- روايتي؟ هل هذه الكلمة تعني انك لم تصدقني؟ اوه، ديريك، الافضل لنا ان نتحدث في موضوع آخر. مجيء سيلفيا اليوم الى العيادة يثبت . . . روايتي، ايها العزيز. ولكن الاتصال الغامض هو محاولة متعمدة لاحداث شرخ عميق في العلاقة القائمة بيننا. هل لديك اي فكرة عن هوية الشخص؟ هل هو رجل ام امرأة؟

- لا ادري. كان الشخص يتمتم هامساً وكأنه يتحدث من تحت الماء.

- فلماذا لم تقل لذلك الشخص ان يذهب الى الجحيم؟ هل سيطر حب الاستطلاع على طبيعتك الطيبة وثقتك بي؟

- لدي سمعة معينة ومكانة مرموقة يجب المحافظة عليها. فلو شاهدك فعلاً احد الاصدقاء هناك، لتصور اشياء بعيدة عن الواقع. اردت التأكد بنفسي من عدم صحة هذا الادعاء، وشعرت فعلاً بصدمة حقيقية عندما رأيتك معه. في اي حال، سأكتفي بهذا القدر

من الإنفعالات وانسي الموضوع بكامله. ولكن، لا تورطي نفسك بعد الآن في امور كهذه. ابحثي لي بأي مريض محتمل... فانا الطبيب، ايتها الحبيبة.

تنهدت تيريزا للمرة العاشرة، ثم تابعت سرد قصتها لماري:

ـ سألت نفسي مراراً، بعد ذهاب ديريك، عما اذا كان ميتش يخطط للايقاع بي. من كان يعلم بوجودي هناك غيره، ولماذا اصطحبني الى ذلك المكان بالذات؟ شعرت بأن اخته هي المخطط الرئيسي، ووراء محاولة تشويه سمعتي بالنسبة الى ديريك. حاولت تناسي الموضوع واعتباره من احداث الماضي، ولكن الضربة القاضية جاءت بعد اسبوعين فقط من تلك القصة. آه، ماري! كنت اتصور الحب بطريقة اخرى... اعتبره رمز الثقة والعفة والطهارة! اصطدمت بصخرة الاحلام التي بنيتها بنفسي، وتحطمت عليها كل آمالي! لا، لا، الحب ليس الا مزيجاً من الأوهام والأكاذيب!

ـ مهلك، يا صغيرتي! انت اليوم في وضع معين، ولكن ارجوك الا تدعي هذه الافكار السوداء تغوص الى اعماق قلبك ومشاعرك. هيا، اكملي.

ـ كنت في قسم الطوارىء عندما اتصلت بي سيلفيا طالبة النجدة. ذهبت فوراً الى المنزل المحدد، فاستقبلتني على بابه... سيلفيا! نعم، يا عزيزتي، سيلفيا! فتحت فمي لاصب عليها جام غضبي، ولكنها بدأت تتهاوى امامي وسكبت على محتويات كوب العصير الذي كانت تمسكه. ساعدتها للوصول الى الغرفة وقمت بما يمليه علي الواجب كممرضة. استفاقت بسرعة من الاغماء المؤقت وشكرتني على اهتمامي بها، معتذرة في الوقت ذاته عما فعلته بثيابي. توسلت الي لكي انظف ثوب التمريض الابيض قبل مغادرتي الشقة، واعطتني معطفاً لارتديه اثناء ذلك. عدت الى الغرفة بعد دقائق، فتبين لي انها غادرت المكان! وفجأة، فتح الباب ودخل ديريك! اكتشفت منه بسرعة، وانا اقف عارية مذهولة، انه تلقى اتصالاً هاتفياً من مجهول

ليحضر الى... شقة ميتش! اصررت على بالطبع ابتهاماته القاسية، ولم يترك لي مجالاً لاطلاعه عما حدث. لم ارد البقاء مع رجل لا يثق بي الى هذه الدرجة، فقدمت له استقالتي في اليوم التالي... وقررت الابتعاد عن طريقه.

ـ وسيلفيا؟

ـ لم ارها بعد ذلك ابداً. حاول ديريك الاتصال بي مرات عديدة، ولكني رفضت مقابلته او التحدث اليه... باستثناء مطالبته بالاستفسار من سيلفيا عن حقيقة الأمر. فكرت كثيراً بالعمل في مستشفى آخر، لان الاموال التي ورثتها عن والدي سوف تنضب عاجلاً ام آجلاً.

نظرت اليها ماري بحنان ظاهر، وقالت:

ـ كنت سأفعل الشيء نفسه، ايتها الحبيبة، وانا اشكرك لاطلاعي على ما حدث معك. انت هنا على الرحب والسعة، ويمكنك البقاء معنا طالما انا على قيد الحياة.

دمعت عينا تيريزا، وقالت لماري بتأثر بالغ:

ـ شكراً جزيلاً، ايتها الحبيبة. انا حقاً محظوظة جداً لوجود اصدقاء اوفياء مثلك. سأساعدك في البيت، وفي اي شيء آخر تطلبينه.

ـ هيا، هيا! لا اريد منك شيئاً سوى تمتعك بالراحة ومحاولتك نسيان الماضي. لدينا هنا مجموعة كبيرة من افضل الخيول، وعدد لا بأس به من ملاعب كرة المضرب... ونادٍ للرقص. صدقيني، يا تيريزا، فالشبان هنا لن يتركوا لك اي فرصة... للبكاء على الاطلال.

ضحكت الصديقتان، ولكن تيريزا كانت مقتنعة في قرارة نفسها بأنها ستكون من الآن فصاعداً اكثر حذراً وتحفظاً مع الرجال!

٢ - الفارس المنقذ

وقفت تيريزا صباح اليوم التالي تتأمل التلال والسهول والأشجار، وتملأ رئتيها بالهواء النقي. انضمت اليها صديقتها بعد لحظات، وقالت:

ـ انه منظر رائع، أليس كذلك؟

ـ بكل تأكيد. اوه، ماري، هل يمكنني القيام بعد الفطور بجولة في هذه المنطقة؟ اشعر وكأن تلك الأشجار الخلابة تناديني وتصر على حضوري.

ـ صرخة البراري ودعوة الطبيعة! انتبهي، يا تيريزا! فاما ان تبتعدي عنها كلياً، واما انك ستتعلقين بها حتى النهاية ولن تعرفي بعد ذلك طريق العودة.

ـ وزوجة سكوت ميلوارد؟ هل كانت صماء عمياء لا تسمع نداء الطبيعة ولا ترى جمالها وجاذبيتها؟

ـ لم تخلق ابداً لمثل هذا النوع من الحياة. تحب المدينة وكل ما توفره لها من أسباب الرفاهية والترفيه عن النفس. وحياتنا هنا . . .

ـ هل كان . . . هل يحبها كثيراً؟

اجابتها ماري بصراحتها المعهودة، وبدون تردد:

ـ كان يحبها حتى الجنون.

لم تعلق تيريزا بشيء على الموضوع، بل ظلت صامتة بعض الوقت ثم قالت مازحة:

ـ كل ما اريده اليوم هو القيام بجولة قصيرة، لن استمع خلالها الى أي من نداءات الطبيعة. هل تعتقدين ان دان سيسمح لي باستخدام الحصان الأسود؟

ـ طبعاً. ولكن، عديني بانك لن تبتعدي كثيراً. العمال كلهم اليوم في الحقول وليس لدي احد هنا لارساله معك، كما انني لست قادرة على مرافقتك بسبب الطفلة.

ـ اعدك بذلك. هيا الآن لنأكل، فأنا جائعة كثيراً ويتحتم علي الاهتمام بصحتي . . . وطفلي.

انضم اليهما دان، وتناول الثلاثة فطورهم وهم يثرثرون ويضحكون. وبعد مساعدة ماري في ادخال الصحون الى المطبخ، امتطت تيريزا صهوة الجواد وانطلقت في جولة تنتظرها بفارغ صبر. اعجبتها فسحة جميلة بين الأشجار، فنزلت عن حصانها وراحت تقفز بفرح وسرور . . . وتغني. اوه، سكون منعش وطقس جميل . . . يزيد من روعتها نسيم بارد وزقزقة عصفور. يا لهذه الطبيعة الخلابة! وفجأة، سمعت وراءها صوتاً يشبه الزئير.

استدارت بسرعة لتواجه بأضخم حيوان شاهدته في حياتها. شعرت في قرارة نفسها ان قفزة واحدة من ذلك الثور سوف تقضي عليها خلال لحظات. ضرب الأرض بحوافره، فجمدت في مكانها تفكر بافضل طريقة للنجاة من الكارثة المرتقبة. رأت خيالاً على بعد مئات الامتار، فأحست بالارتياح. ولكن الرجل لم ينتبه اليها،

وحول حصانه الى جهة اخرى. دب الفزع واطلع ثانية في قلبها، فصفرت بقوة شديدة جعلت الحصان يتوقف بصورة مفاجئة . . . خائفاً مذعوراً. تطلع الرجل نحوها، ثم قال لها بصوت عال لتسمعه:

- لا تتحركي من مكانك . . . سوف ابعده عنك. استعدي للامساك بذراعي والقفز ورائي. ها انا آت!

صرخ باعلى صوته كرعاة البقر، ثم هجم بحصانه نحو الثور وهو يلوح بيده. ذعر الحيوان الكبير وفر هارباً، فيما امسك الرجل بذراع تيريزا الممدودة ورفعها الى حصانه بسهولة ويسر فائقين. تذكرت تيريزا في تلك اللحظات قصص الفرسان الشجعان، وافتر ثغرها عن ابتسامة امتنان وارتياح. ولكن السرعة الهائلة التي كان الحصان منطلقاً بها، افزعتها وارعبتها. هل انقذها هذا الرجل الشجاع من الثور ليدق عنقها او يحطم عظامها بسبب هذه السرعة الجنونية.

صرخت به متوسلة:

- توقف! اوه، توقف، ارجوك!

خفف الرجل من سرعة حصانه والتفت نحوها، فقالت له متلعثمة:

- ليست . . . ليست هذه وجهتي، يا سيد . . . يا سيد ميلوارد! عني . . . بيتي في الجانب . . . الآخر.

أوقف سكوت جواده قرب النقطة التي تركت فيها حصانها، ثم نزل وحملها بين ذراعيه القويتين لانزالها الى الأرض. كانت ترتجف كورقة في مهب الريح، فلم يتركها على الفور . . . بل ظل ممسكاً بها بعض الوقت. حاولت جاهدة الوقوف بمفردها على قدميها، كي تتمكن من الابتعاد عنه . . . وعن نظراته التي تكاد تذيبها. ستغرق . . . ولكنه ابعد ذراعيه عنها ببطء شديد وتراجع خطوة الى الوراء، قائلاً بهدوء:

- ستكونين بخير، يا آنسة ستانتون. تعب ثورك الهائج بعيداً،

ولن يعود.

- لا اعرف كيف اشكرك، يا سيد ميلوارد. كنت مذعورة جداً . . . وكنت انت في غاية الشجاعة لانقاذي بتلك الطريقة . . .

- كان ذلك من دواعي سروري، يا آنسة، ولست بحاجة لتقديم الشكر.

- انا حقاً ممتنة لك. لمن هو ذلك الثور يا ترى، وهل كان فعلاً يشكل خطراً حقيقياً على حياتي؟ من المؤكد، انك افزعته جداً بصراخك القوي.

ابتسم سكوت وقال لها:

- اعذريني، ايتها العزيزة، على تلك الطريقة الدراماتيكية التي انقذتك بها. يظل المرء صبياً يحب الاثارة والتباهي بشجاعته وفروسيته، حتى ولو اصبح في سني. هل بامكانك الآن ايجاد طريق العودة بدون صعوبة؟

هزت رأسها ايجاباً وكررت شكرها له، بعد الاعتذار عن الازعاج الذي سببته له، ثم امتطت حصانها وعادت الى منزل صديقتها. يا له من رجل مزاجي غريب الاطوار! لماذا اعتذر منها عن انقاذه لها؟ ولماذا تلك النكتة عن عقلية الاحداث وطعم الاثارة؟ لماذا لا تزال تشعر بحرارة جسمه وقوة ذراعيه اللتين طوقتاها لبعض الوقت؟ و . . .

ابتسم لها دان الذي كان آتياً لتوه من العمل، وسألها ممازحاً:

- هل كنت خارج البيت طوال هذا الوقت، يا حلوتي؟ يا لك من شيطانة صغيرة!

- اوه، دان، هل حان موعد العشاء؟ لم اشعر ابداً بمرور الوقت. ارجو الا تكون ماري غاضبة.

ظهرت صديقتها في تلك اللحظة، وقالت:

- سوف الغي الاتصال الهاتفي الذي اجريته مع الشرطة بهدف البحث عنك. لا، لا تخافي. لم اتصل بالدائرة، مع اني كنت فعلاً انوي ذلك. في اي حال . . .

طوقها دان بذراعه، ثم قبلها وقال مداعباً:

ـ هيا، هيا ايتها الحبيبة. دعي القصة تشرح موقفها!

ـ اياك والمغازلة، يا دان زورك. يجب ان تعرف جيداً انني امرأة متزوجة ومحترمة. هيا، يا تيريزا، ستاتون، اجلسي... واشرحي لنا ما جرى.

ضحكت تيريزا من الجلبة التي افتعلتها صديقتها مع زوجها، وقالت:

ـ لا يمكنكما ابداً تصور ما حدث معي اليوم. التقيت ثلاثة مخلوقات برية خلال اقل من ثلاث دقائق. خاف الأول مني كما خفت منه، وهرب كل منا في اتجاه معاكس. حاصرني الثاني على صخرة عالية، وكاد يودي بحياتي. اما الثالث، الذي كان يمتطي حصاناً، فقد انقذني من الثاني. هل تصدقان هذه القصة؟

حدقا بها باستغراب واضح، فانفجرت ضاحكة. وجهت ماري الى زوجها نظرة ذات معنى، فوقف رافعاً يده وكأنه يهدد تيريزا بمعاقبتها كطفلة صغيرة.

ـ ارجوك، يا دان. لا تضربني، ساخبرك الحقيقة!

ابتسم دان وماري، فبدأت تيريزا تردد على مسامعهما تفاصيل ما جرى معها. ولما انتهت من رواية قصتها، لاحظت ان ملامحهما لم تتغير او تتبدل.

ـ يبدو ان عملية انقاذي الدراماتيكية لم تثر اياً منكما على الاطلاق.

استفاقت ماري من ذهولها وقالت:

ـ يا لها من حادثة مثيرة

اما دان، فقد قام نحو الباب وهو يقول:

ـ كان وجود سكوت في تلك المنطقة صدفة عظيمة. ساراكما في وقت لاحق.

تنهدت ماري مرة اخرى، وقالت بشيء من الحدة:

ـ يا لها من تجربة قاسية، وخاصة تلك السرعة الجنونية التي انطلق فيها سكوت حصانه. سوف اتحدث معه بهذا الخصوص. اوه، تيريزا، ثمة شيء يحترق في المطبخ!

تضايقت تيريزا كثيراً لشعورها بانها كانت ضحية حادثة مفتعلة مع ذلك الرجل الخبيث. لا شك في انه حاول اذلالها. ستعرف جيداً كيف ستواجهه... هذا المخلوق الذي يتصور بانه يستطيع التحكم بالانسان والحيوان على حد سواء! سيطرت على اعصابها المتوترة بسرعة مذهلة، وابتسمت لزوج صديقتها عندما عاد الى الغرفة قائلة:

ـ اعتقد ان الغداء جاهز، ايها العزيز دان. هل من شيء يزعجك؟ لماذا تنظر الي بهذه الطريقة؟ اوه، انك بالتأكيد متضايق من التطلع الى وجهي الشبح. ساغسله على الفور، يا سيدي!

ارسلت له قبلة في الهواء، ثم غادرت الغرفة على عجل. واثناء الغداء، قررت تيريزا متابعة استخدام اساليب المراوغة والدهاء. اذا كانا يريدان مساعدة سكوت على ايقاعها في شباكه، فسوف تعرف كيف ستتصرف معهما. تظاهرت بانها تذوب غراماً وهياماً، وهي تقول لصديقتها:

ـ اعذريني، ايتها الحبيبة، على تأخيري الذي اقلقك. اما وقد اطلعت على تفاصيل تلك الحادثة المروعة، افلا تظنين ان اللقاء يستحق كل ذلك العذاب والذعر؟ اوه، يا له من فارس شجاع ورائع! لا شك في ان قلبه توقف عن الخفقان عندما...

ـ تيريزا، اعتقد انني... اظن... اعني ان عليك...

ـ لماذا هذا التلعثم، يا ماري؟ حاولي ان تجمعي افكارك قبل الادلاء بأي تصريح، والا فانك ستوقعين جليس تيريزا بمشكلة هائلة.

ـ حقاً؟ اوه، تيريزا! انا لا... اتلعثم... دائماً، ولكني... ولكني اريد ان اقول...

ـ ها قد عدت اليها ثانية، ايتها العزيزة. يا لسخافتي! انت تشعرين الآن بالقلق، وهذا هو سبب الانفعال. اعرف هذا لربما قوله لي، ولكني اعرف كيف اتصرف بطريقة جيدة. سوف اشكر ذلك الرجل الشجاع... باسلوب رقيق ناعم. تأكدي من ذلك، يا ماري!

استعدت ماري للتعليق على كلام ضيفتها، ولكن تيريزا سارعت الى تغيير الموضوع وبدأت تحدثها عن طفلتها وتسأل عن كافة امورها... لحين انتهاء الجميع من تناول طعامهم. وعندما حان موعد عودة دان الى عمله، توقف برهة ليذكر زوجته بأن سكوت ميلوارد سيتناول معهم طعام العشاء. التفتت تيريزا نحو صديقتها بعد خروج دان، وقالت:

ـ اشعر بالأسف تجاه السيد ميلوارد، يا ماري. هل تعرفين السبب؟

ـ ما هو السبب، يا عزيزتي؟

ـ افكر جدياً في عرض خدماتي عليه... بالنسبة لابنته. الا يحتاج الرجل لعائلة؟ ثم... اليست خبرتي في التمريض عاملاً ايجابيا فيما يتعلق بالمؤهلات المطلوبة؟ لن يرسلها الى المدرسة في الوقت الحاضر لصغر سنها. ولذلك، فهي بحاجة لممرضة وصديقة اكثر من مربية او معلمة.

ـ لا يجب الا... الا...

ـ انت تتلعثمين مرة اخرى. ماذا دهاك؟ يا ماري؟ لم تكوني هكذا في الماضي، ايتها الحبيبة. لا تغضبي، فأنا امازحك. هل تعنين ان عمري لا يسمح لي بتحمل مثل هذه المسؤولية، كما قال لي سكوت بمجرد وصوله الى المحطة؟

ـ لا، لم اقصد ذلك. ولكن ... اوه، تيريزا...

ـ لا بأس، يا عزيزتي. سأعرض عليه الفكرة اثناء العشاء. اما الآن، فقد حان موعد القيلولة والراحة. اوه، كم انا بحاجة اليها! الى اللقاء بعد حوالي ساعتين، ايتها الصديقة الغالية.

٣ - عرض... وقبول

ارتدت تيريزا اجمل ثيابها، استعداداً للمقابلة... التقت الشهم! نظرت اليها ماري باعجاب ظاهر، فيما قام دان من مقعده تأدباً واحتراماً. حيتهما بفرح وهي تنضم اليهما، ثم راح الثلاثة يتبادلون بعض الاحاديث العادية بانتظار وصول الضيف الآخر. وفجأة، لاحظت باستغراب شديد انها لم تفكر بخطيبها السابق طوال ذلك النهار. هذا لا يعني انها نسيته، ولكن يبدو ان شخصاً آخر يستحوذ على انتباهها... شخصاً يعتبرها فتاة سخيفة تحتاج الى احداث مثيرة تخفف عن نفسها غبار الضجر والملل. حدقت بماري ودان طويلاً، ثم سألتهما:

ـ بالمناسبة، لماذا وصفني جاركما بأنني الفتاة المدللة؟

فتح دان فمه ليعتذر، ولكن زوجته سبقته الى ذلك قائلة:

ـ انا المذنبة، يا عزيزتي. عندما تحدثت مع سكوت عن وصولك

المرتقب، وركزت كثيراً على ماضيك الأدبي والفني. انت تعرفين بالتأكيد مدى حبي واحترامي للأستاذ الكبير، المغفور له والدك. سمعني سكوت مرات عديدة اتحدث عن شخصيته القوية وافكاره الذكية النيرة، واعتقد انه رسم في مخيلته صورة فتاة لا يهمها شيء في الحياة سوى الفكر والثقافة. هذه ليست اهانة، يا حبيبتي. انا اذكر بوضوح تام كم كنت تفضلين مثلاً مكتبة والدك الغنية على الحفلات والسهرات.

قبلت تيريزا ايضاح صديقتها برحابة صدر، قائلة انها فهمت الموضوع الآن على حقيقته. وما ان انتهت من جملتها، حتى دخل سكوت وحيا دان وماري بود ظاهر. بدا جذاباً وانيقاً للغاية، وسرها انه يتأملها باعجاب. صافحها بحرارة، وقال:

- اسعدت مساء، يا آنسة ستانتون. كيف حالك اليوم؟

- بخير والحمدلله، يا سيد ميلوارد. كيف...

تدخل دان قائلاً بلهجة مرحة:

- اوه، لا داع لهذه الرسميات بحق السماء. اسمه سكوت، واسمها تيريزا.

ابتسم سكوت وقال لها بصوت دافئ:

- مرحباً، يا تيريزا.

حيته مرة اخرى، مستخدمة اسمه الأول، ولكنها انبت نفسها على تلك النعومة التي ظهرت في نبرة صوتها، وحذرت قلبها من التهور والاندفاع. يجب عليها الحفاظ جانب الحذر والحيطة مع هذا... الرجل الساحر للغاية! اخذت كوب العصير من دان، ثم استدارت نحو سكوت وقالت:

- اخبرتني ماري عن ابنتك. كيف حالها؟

- بخير، شكراً. ولكنها تضايقت كثيراً لعدم احضارها معي.

- هل تمكنت من حل اللغز الغامض بالنسبة... بالنسبة الى المربية؟

- نعم. اتصل بي الشخص المسؤول بعد ظهر اليوم لابلاغي بانها مريضة، ولا يوجد حالياً اي شخص آخر ليحل محلها. اعني... سيدة تكون لديها المؤهلات الضرورية.

- كممرضة مثلاً؟

تدخلت ماري على الفور، قائلة لصديقها:

- انا متأكدة من انك ستجد سيدة اخرى قبل ذهاب فيرا.

ابتسمت تيريزا وقالت له:

- ماري قلقة بخصوصك انت وطفلتك، يا سكوت. لدي عرض اريد مناقشته معك في وقت لاحق، اذا كان الأمر يهمك.

دخلت الخادمة في تلك الآونة واعلنت للموجودين ان العشاء جاهز. امسكت ماري بذراع صديقتها بحنان، وسارت وإياها قبل الرجلين. واثناء احاديث العشاء العادية، انتهزت تيريزا فرصة مناقشة فيلم سينمائي وقالت:

- انا احب افلام رعاة البقر والفروسية والبطولات، وما حدث معي صباح اليوم يشبه الى درجة كبيرة احداث افلام كهذه... البطل الوسيم ينقذ الشابة المسكينة من براثن الموت المحتم. اريد ان اشكرك ثانية، يا سكوت، على ما قمت به. كانت عملية مثيرة للغاية... وشجاعتك اعجبتني كثيراً وبددت مخاوفي، مع ان السرعة الفائقة افزعتني في البداية.

- يسعدني جداً انني ذكرتك بافلامك المفضلة، يا تيريزا.

- بما ان الصداقة بدأت تترسخ بيننا جميعاً، فلماذا لا احدثك الآن عن العرض الذي...

قاطعتها ماري وكأنها تنهرها:

- تيريزا! تيريزا!

- نعم، يا عزيزتي؟ اوه، اعرف انك ستحذرينني من ان السيد ميلوارد... سكوت... سوف يرفض العرض الذي سأتقدم به، ولكنني سأتقدم به، بغض النظر عن النتيجة المرتقبة.

تطلعت نحوه بهدوء تام، وهي تعلم بالتأكيد انه سيرفض عرضها. ارادت مشاهدة نظرات الاحتقار والاستهزاء البارزة في عينيه، قبل ابلاغه بانها كانت تمازحه. قالت له:

ـ انا ممرضة في سنتها الثالثة، وهذا يشمل تدريباً مكثفاً في اجنحة الاطفال. اذا لم يكن لديك اعتراض جدي على صغر سني، فأنا مستعدة للاعتناء بابنتك على الأقل حتى ايجادك مربية... او ممرضة اخرى. وها انا اتقدم الآن بطلب لملء المكان الشاغر.

خيم الصمت طويلاً، ولم تظهر في عينيه او ملامح وجهه اي دلائل على الاحتقار او الاشمئزاز. التفت نحو ربة البيت وقال لها بتأدب:

ـ هل تسمحين لنا، يا ماري، بالذهاب الى قاعة الجلوس لنبحث معاً في هذا العرض السخي؟

وافقت ماري بصوت مرتعش الى حد ما، متحججة بالذهاب الى ابنتها والاهتمام بها. كذلك... تذكر دان امراً هاماً في المزرعة، واعتذر عن اضطراره للذهاب. اصبحا وحدهما... وشعرت تيريزا فجأة بانها لم تعد تريد اي نظرات احتقار او تهكم وسخرية في ردة فعله. انبت نفسها كثيراً على سوء تصرفها معه، و...

ـ هل سيوافق خطيبك الطبيب على عملك في منزل رجل مطلق؟

فوجئت بسؤاله العادي، فاحتاجت بعض الوقت لتحليله... قبل ان تشعر بالألم يعصر قلبها. هل ذلك بسبب فقدانها خطيبها، ام نتيجة اعترافه بكل بساطة انه تخلى نهائياً عن المرأة التي يحبها حتى الجنون؟ رفعت رأسها بشموخ، وقالت:

ـ فيليب وانا لم نعد مخطوبين، كما انني استقلت من وظيفتي في المستشفى.

ـ حسناً، قبلت عرضك. اتصور انك تريدين تمضية يوم او يومين مع ماري قبل ممارستك مهامك الجديدة. هل يناسبك يوم الاربعاء المقبل؟

صعقت بموافقته السريعة، فلم تعرف كيف تجيب او تعلق على كلامه. اقترب منها، وقال لها بلهجة جافة الى حد ما:

ـ من الواضح ان اربعة ايام ليست كافية. لا الومك، يا عزيزتي، فلك كل الحق باجازة طويلة. ولكنني في وضع حرج بسبب استقالة المربية الحالية. سوف تتزوج... المسكينة.

دفعتها السخرية اللاذعة الى الرد بسرعة:

ـ ليس كل زواج فاشلاً، يا سكوت. انا خسرت خطيباً وانت فقدت زوجة، ولذلك فانا ننظر الى الحياة نظرة قاتمة. اما دان وماري مثلاً، فهل هناك اسعد منهما في حياتهما الزوجية؟

ـ انت شابة في ريعان الصبا، ايتها العزيزة تيريزا، ومن المحتمل جداً ان تعود المياه الى مجاريها مع خطيبك... السابق، او ان تجدي هذا الذي يسمونه حباً مع شخص آخر. وعليه، فلا تقارني بين مشكلاتك ومشكلتي. انا لم اعد شاباً في مقتبل العمر.

ـ ولكنك لست عجوزاً، يا سكوت. سيزول الألم بعد فترة، وستنفتح امامك قريباً آفاق جديدة. ثم... لديك ما يعوضك بعض الشيء عن خساراتك الفادحة... لديك ابنة رائعة تحبها وتسعى لاسعادها. اما الحب بالنسبة الي، فهو مجرد اوهام...

ـ لا ترهقيني بالتفاصيل. يبدو اننا ابتعدنا عن موضوعنا الاساسي.

دخل دان في تلك الآونة وهو يطوق خصر زوجته بمحبة وحنان، ثم سألها مازحاً:

ـ ما هي هذه الأمور الجدية التي تبحثانها؟

ـ اوه، امور جدية للغاية تدور حول قلبين محطمين. واخشى، ايها الصديق، انني سأخسر موظفة فاضلة.

كاد الغيظ يفقدها سيطرتها على نفسها، ولكنها ابعدت وجهها عن نظراته الساخرة الجذابة وقالت لماري بلهجة اخفت حقيقة مشاعرها:

- وافق سكوت، أو بالأحرى السيد ميلوارد، على طلبي . . . وسوف أبدأ العمل يوم الأربعاء المقبل. لم ألتق ملیندا بعد، ولكنها اذا كانت طيبة وكريمة النفس كوالدها العجوز، فلا داع أبداً للقلق. لا تنزعجي، ابنتها العزيزة، فسوف أزورك بين الحين والآخر. ما رأيكم جميعاً بفنجان قهوة؟

أجابها سكوت بسرعة، قائلاً بمرح ظاهر:

- عظيم. وبالمناسبة، يمكنك مناداتي باسمي الأول.

ثم التفت نحو دان وماري وقال:

- أبلغت تيريزا قبل لحظات، وأريدكما أن تعرفا ذلك أنتما أيضاً، أن الطلاق أصبح نهائياً. وضعت ماري يدها على ذراعه بمحبة وحنان، قائلة:

- لا أدري ماذا أقول لك، يا سكوت. ولكني أعتقد صراحة، وبكل أسف، أن الطلاق في أوضاع كهذه أمر لا بد منه.

أما دان فلم يتفوه بكلمة واحدة، الا ان نظرات الصداقة الحقيقية حملت أسمى معاني التعاطف والمشاركة. تدخلت تيريزا على الفور لاشاعة جو من المرح، فقالت:

- يا للمفارقة العجيبة! سكوت ميلوارد يستعيد حريته، وتيريزا ستتحول تسعى وراء العبودية!

ابتسم سكوت وقال لها:

- شكراً لك، يا تيريزا . . . يا شمس الصباح التي تخفف الآلام وترفع المعنويات.

أمضى الأربعة بعد ذلك فترة طويلة من المرح والسرور. ولما حان وقت ذهاب سكوت، شكر صديقيه على دعوتهما اللطيفة وطلب من دان احضار . . . الفتيات الثلاث . . . بعد ظهر اليوم التالي لشرب الشاي. وبعد خروجه، تطلعت ماري نحو صديقتها وقالت:

- ماذا فعلت بنفسك، يا فتاة؟

- بدأت المسألة كنكتة أردت استغلالها للانتقام منه ومن

عنجهيته، ولم أكن أعلم بأنه سيقبل عرضي. وعندما تحدى بالقول إني قد لا أكون راغبة في البدء خلال أيام قليلة، لأنني أريد التمتع بوقتي، رفضت كرامتي التراجع عن العرض.

علق دان على الموضوع بشكل ايجابي للغاية، مثنياً على قرار تيريزا ومؤيداً خطوتها. ثم أضاف قائلاً:

- سيكون سكوت كريماً معك فيما يتعلق بالأمور المادية. هل بحثت معه هذا الموضوع؟

- لم يخطر ذلك ببالي أبداً!

- اذا كنت حقاً مصممة على تولي هذه المهمة، فلا مبرر أبداً للقلق. سكوت انسان طيب، وخاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بابنته.

بعد ظهر الأحد، توجهت تيريزا مع عائلة صديقتها الى منزل سكوت ميلوارد . . . لتجده ينتظرهم في الحديقة الواسعة ومعه ابنته ومربيتها المستقيلة. صافحت ملیندا كلاً من دان وماري، وعانقتهما بحرارة وشوق بالغين. ثم أمطرت الطفلة جانيس بالقبل، وتحولت نحو تيريزا لتتأملها بدقة وعناية. تم التعارف بسرعة بين المربيتين من جهة، وبين تيريزا وملیندا من جهة أخرى. ابتسمت الصغيرة، وقالت:

- شعرك، يا تيريزا، كأشعة الشمس . . . وعيناك مثل . . . مثل ماذا يا أبي؟ لا، لا تقل، تذكرت . . . عيناك كزرقة السماء. تيريزا جميلة جداً، أليس كذلك يا أبي؟

- شكراً، يا ملیندا. أنت أيضاً جميلة جداً.

أحضر سكوت كرسياً لتيريزا، وقال:

- أخبرتني ابنتي عن حبها للطبيعة . . . وللجمال. أتصور أنكما ستقيمان علاقات طيبة فيما بينكما.

- لا شك أبداً في هذا الأمر، ولكني لا أدري ما اذا كنت سأحب وجود والدها قربنا باستمرار.

جلس قربها، وسألها بصوت رقيق ناعم يحمل بعض التحدي:

ـ هل يزعجك وجودي الساحر الى هذه الدرجة، لم انك تستخدمين هذا العذر للتهرب؟

يا لجاذبيته الساحرة! ابعدت وجهها عنه قليلاً، وقالت بعنفوان:

ـ لست من النوع الذي يتهرب او يتراجع عن كلمته، كما انني لست معتادة على اختلاق الأعذار.

ثم تطلعت بسرعة نحو فيرا، وقالت لها:

ـ علمت انك ستتزوجين قريباً، يا آنسة سميث. ارجو ان تقبلي تمنياتي بمستقبل سعيد وزاهر.

ـ شكراً، يا آنسة ستانتون. عمل خطيبي بجد ونشاط متواصلين لنشتري بيتاً خاصاً بنا. انتظرنا طويلاً، ولكننا حققنا بحمد الله ما كنا نصبو اليه. انا مسرورة جداً لأنك ستعملين مع السيد ميلوارد، مع ان عمرك . . . اعني . . . مليندا فتاة طيبة جداً ولكنها . . .

ـ لا تخافي، يا آنسة سميث. انا في الثانية والعشرين من عمري، وممرضة في السنة الثالثة، وقادرة تماماً على تحمل المسؤولية . . . مهما كانت. وعليه، فانا لست صغيرة كما تتصورين . . . وآمل في لا يشاطرك السيد ميلوارد هذا الرأي!

ـ لا، ايتها العزيزة، فانا واثق من قدرتك ومؤهلاتك. سوف نبحث التفاصيل في وقت لاحق، لانني اريد الآن من دون مرافقتي الى الاسطبل لمشاهدة الحصان الذي ابتعته في الآونة الاخيرة. انه عنيف جداً، ولكني سأروضه.

تأملته تيريزا طويلاً، وهي تقول لنفسها انه قادر على ترويض اي شيء بدون تعب او عناء. وسمعت ماري تعلق على كلامه بالقول:

ـ ما من احد افضل منك في هذا الميدان، يا سكوت. اوه تيريزا، يجب عليك مشاهدة هذا الرجل يمتطي حصاناً. من المؤكد ان الدماء ستتجمد في عروقي اذا رأيته مرة يروض حصاناً برياً! لو لم يكن سعيد الحظ لدرجة لا تصدق، لكان دق عنقه منذ فترة بعيدة.

ضحك سكوت وقال:

ـ الاعناق لا تدق بمثل هذه السهولة، ايتها الصديقة المتعطشة للدماء. على الأقل، ليس بالسهولة التي . . .

ابتسمت تيريزا لاخفاء ارتباكها، وقاطعته قائلة:

ـ تتحطم فيها القلوب! الم يكن هذا ما كنت تنوي قوله؟ لا، لا يجوز اجراء مقارنة بين هذين الامرين. فالقلوب المحطمة يمكن ان تعود الى سرورها وبهجتها . . . مع مرور الزمن.

اقتربت منها مليندا في تلك اللحظة، وقالت:

ـ تعالي، يا تيريزا، لأريك طفلتي الصغيرة. انها نائمة مثل جانيس، ولذا يجب التحدث همساً . . . او حتى الامتناع عن الكلام لحين عودتنا الى هنا.

قال لها والدها بلهجة حازمة الى حد ما:

ـ سوف تشرب تيريزا الشاي الآن ثم تذهب معك.

ـ ابي، ارجوك! اريدها ان تأتي الآن!

تردد سكوت قليلاً وتطلع نحو تيريزا، فقالت للصغيرة بصوت قوي حنون:

ـ على الفتيات الصغيرات الاصغاء دائماً للآباء واطاعة تعليماتهم. وعليك انت ايضاً تعليم طفلتك على الاستماع اليك، لكي تصبح مثلك تماماً . . . فتاة طيبة عظيمة.

شرب الجميع الشاي، ثم ذهبت تيريزا مع مليندا لمشاهدة لعبتها الجميلة التي تسميها ابنتها. لحقت بها ماري بعد قليل، وقالت لتيريزا عندما التقتا في قاعة الجلوس:

ـ الن لو ان سكوت يفعل شيئاً بالنسبة لهذه المفروشات والستائر!

ـ انها فعلاً مزعجة! راودني الشعور ذاته وانا في الحمام، ورحت اتخيل التغييرات الهائلة التي يمكن القيام بها فيما لو سنحت لي الفرصة لذلك.

ـ ربما تمكنت، يا عزيزتي، من احداث تغييرات كثيرة . . . لقد

عرفت كيف...

- تذكري أن هذا المنزل يخصه هو، وأني لست أكثر من مجرد موظفة. ثمة أمر واحد فقط قررت القيام به، ولو كان ذلك على حسابي، وهو استبدال الستائر في غرفة مليندا.

وقفت ماري وتيريزا بعد ذلك تتأملان الجياد الأربعة، فيما كان وان وسكوت يتبادلان بعض المعلومات حول الحصان الجديد. وفجأة، اقترب أحد الجياد من تيريزا وراح يداعب كتفها برأسه. أخرج سكوت قطعاً من السكر من جيبه، وأعطاها إياها قائلاً:

- يبدو أن فروست أحبك، يا تيريزا. أطعميه هذه القطع، فهو يحب الحلوى إلى درجة كبيرة. اعتبريه حصانك طوال فترة وجودك هنا. عامليه جيداً، فيخلص لك ويطيعك حتى لو أمرته بالقفز إلى الوادي.

حان وقت العودة، ففتح سكوت باب السيارة لتيريزا وقال:

- لم نتمكن من بحث التفاصيل المتعلقة بعملك هنا، ولكن يمكنك البقاء مع ماري حتى الأحد المقبل. سأتحدث معك خلال هذا الأسبوع حول الأمور المالية، وأي موضوعات أخرى تهمك أو تريدين معرفتها. هل لا زلت موافقة على الاعتناء بمليندا؟

- نعم، يا سكوت، فابنتك أعجبتني كثيراً.

- عظيم. لقد كسبنا بذلك نصف المعركة. ومن الواضح أن الإعجاب متبادل... من جانب مليندا.

من جانب مليندا فقط! لا بأس، فلديه أسبوع كامل ليعود عن رأيه. وقررت تيريزا أنها ستثبت له، في حال استخدامها، مدى فداحة الخطأ الذي ارتكبه بحقها. ستبرهن لهذا المتعجرف المتغطرس أنها ليست كبعض النساء الضعيفات... لن تضعف أمامه... ستواجهه بكل قواها!

٤ - الاستعداد للمجابهة

كانت تيريزا تعمل بجد ونشاط في الحديقة، عندما شاهدت ظل إنسان يتحرك قربها. التفتت بسرعة إلى الوراء، فرأت سكوت ينحني ليساعدها وهو يقول:

- مرحباً، أيتها العزيزة. يبدو أنك منهمكة في العمل لتقطع دابر الأعشاب البرية المؤذية. دعيني أساعدك.

كانت وجنتاها محمرتين بسبب الشمس والتعب، ولكن الاحمرار ازداد قوة وترسخاً نظراً لوصوله المفاجئ، وملامسته ذراعها بطريقة الصدفة. تسمرت في مكانها لحظات طويلة، فاستدار نحوها قائلاً بلهجة سكان المنطقة:

- السيدة لا تحكي اليوم. آسف جداً، يا آنسة. سوف ينسحب المسكين...

- طبعاً يمكنني التحدث... إذا أردت ذلك.

رفع رأسه نحو وجهها الغاضب، وقال بحدة:

- لقد، اطلب منك بكل تهذيب واحترام... ان تفعلي ذلك، لأني اتيت لبحث الترتيبات الخاصة بعملك.

ثم وقف قربها، وتابع قائلاً بلهجة اكثر نعومة:

- هل تعلمين ان العمل في مثل هذا الحر الشديد ضار للغاية؟ انظري الى نفسك... وجهك كثير الاحمرار... ومتسخ. هيا اسرعي واغسلي وجهك، لنشرب الشاي ونتحدث في امور هامة. ما بك تنظرين اليّ هكذا؟ هل اصبت بضربة شمس؟

- تصورت انك على عجل...

- صحيح، ولكني مستعد للتضحية... اذا قبلت استغراق بعض الوقت. هيا، يا فتاة.

تأملته وهي تتوجه نحو الباب بعصبية غاضبة، ثم ناداها قائلاً:

- لا تكرهيني في هذه الفرصة، يا حبيبتي. فالكراهية، على ما يبدو، تجعل طريقة سيرك مثيرة جداً... واستفزازية!

استفزازية حقاً! كيف يجرؤ على استخدام كلمة حبيبة؟ ومن يظن نفسه ليطلب منها، كطفلة صغيرة، ان تغسل وجهها؟ ستعرف كيف تواجهه... هذا اللعين! ولكن عليها الاسراع في العودة، والا فإن هذا المتغطرس المتعجرف سيتبعها الى الحمام. ماذا سيردعه؟ اللياقة؟ تهذيبه؟

عادت بعد قليل ومعها الشاي، فوجدته مستلقياً على الأرض. تأملت وجهه الجذاب الذي لفحته الشمس، وشفتيه الجميلتين اللتين...

- شاب وسيم جداً، أليس كذلك؟

- جمال الانسان في اعماله وتصرفاته.

- آه، هكذا يقولون! تعجبني فطنتك وحكمتك، ايتها الشابة الحلوة.

- شكراً على هذا الاطراء. كم قطعة سكر تريد، يا سكوت؟

- واحدة، شكراً.

اخذ فنجان الشاي من يدها، ثم دخل فوراً في صلب الموضوع الذي حضر لأجله قائلاً:

- يمكنك الاستعانة عند الضرورة بخادمة ملينذا الخاصة، كليو. اذا اردت زيارة احد، او الخروج من البيت لأي سبب او آخر، تتولى كليو مهمة الاعتناء بملينذا. ولكني لا اريدك ان تغادري المنزل، ما لم اكن انا او مدير اعمالي جيم في الجوار. يجب اعداد ترتيبات محددة كلما اردت مغادرة البيت. هذا امر بالغ الأهمية بالنسبة لي.

- حسناً، سأفعل ذلك.

- لنبحث الآن الأمور المالية. هل يمكنني معرفة ما كنت تتقاضين في المستشفى؟

اخبرته بسرعة وايجاز عن دخلها الشهري الشامل، بما في ذلك المنح والساعات الاضافية وما شابه. نظر اليها باستغراب بالغ، وقال:

- يا له من مبلغ تافه! هل كان كافياً؟

- الى حد ما، وخاصة للذين يعيشون في المستشفى.

- وماذا بالنسبة الى المال الذي ورثته عن والدك؟

اجابته بصراحة وبدون تردد:

- انفقت معظمه على دراستي، ولكن الباقي يكفيني لمدة سنة تقريباً... اذا عرفت كيف اتصرف به.

عرض عليها سكوت مبلغاً كبيراً، فاحتجت قائلة ان عملها لا يستحق هذا الدخل المرتفع. اصر على عرضه، وقال:

- انا لا اعتبره ابداً مبلغاً كبيراً. اذا كانت ملينذا سعيدة وتتمتع بصحة جيدة.

- اذا تبين لي ان الخدمات المطلوبة مني لا تستحق دخلاً كهذا، فسوف ارفضه رفضاً قاطعاً.

وقف سكوت، وقال لها باسماً:

ـ لنترك الجدل حول هذا الموضوع الى وقت آخر. هل اخبرتك ماري عن الحفلة الراقصة التي ستقام في القرية مساء السبت المقبل؟

ـ نعم، وسوف نكون هناك باذن الله.

ـ سيكون من دواعي سروري ان ارافقك ومليندا الى الحفلة.

ـ اوه! هل علم دان وماري بهذا. . . القرار؟

ـ لا، ولكني سأطلعهما على ذلك قريباً.

ـ اعتقد ان العرف يقضي اولاً بالطلب من السيدة ذات العلاقة.

ثم . . .

ـ هل تسمحين بمرافقة مليندا ووالدها الى تلك الحفلة؟

تجاهلت سؤاله اللطيف، وتابعت جملتها بحزم واصرار:

ـ اتصور انه ليس من المناسب ابداً ان يصطحب رجل مرغمة ابنته الى. . . حفلات راقصة وغيرها من . . .

نظر اليها بحدة وقال:

ـ لتذهب التقاليد والرسميات الى الجحيم. هل ترغبين مرافقتي الى الحفلة؟ تذكري انك لن تباشري العمل قبل الأحد المقبل، وبالتالي فلن تكوني مع رب عملك اللعين!

طالبها قلبها بالقبول فوراً، واصر عقلها على التروي وعدم الاندفاع وراء العاطفة. ولكن. . . لما لا؟! قالت له بهدوء مرتبك:

ـ اقبل دعوتك المهذبة جداً، يا سيد مولوره. . . ربما لأن مليندا بحاجة ماسة لوجود شخص لا يستخدم مثل هذه الكلمات النابية.

خيم الصمت بينهما لفترة طويلة، راح كل منهما خلالها يتأمل الآخر ويحلل شخصيته. واخيراً، قطع سكوت حبل الصمت قائلاً:

ـ يبدو انني سأمضي حياتي اعتذر لك عن هذا التصرف او ذاك. موعدنا تمام السادسة من يوم السبت. الى اللقاء، يا آنسة. تحياتي الحارة لماري ودان.

اخبرت تيريزا صديقيها اثناء العشاء عن زيارة سكوت ودعوته المفاجئة، وقالت:

ـ تصوروا انه لم يبحث الموضوع معي، بل اكتفى بالقول انه سيأخذني الى الحفلة! هكذا! ابتسمت ماري رغماً عنها، وقالت لصديقتها:

ـ هذا هو اسلوبه في المعاملة. ومن النادر جداً ان يبحث او يناقش. ولكني استغرب الى حد ما رغبته في الذهاب الى مثل هذه الحفلات، فهو لا يعير الرقص اي اهتمام يذكر. يبدو، يا عزيزتي، انه بدأ يميل اليك!

ـ ربما انه من المؤكد انه يفكر بأمور اخرى. . . وضيعة!

ـ انت شابة جذابة جداً، فلماذا لا يحاول الفوز بقلبك قبل ان يخطفه شبان آخرون؟ انا واثقة من انها امور رفيعة، وليست وضيعة.

تدخل دان عندئذ، قائلاً:

ـ يبدو على الأقل انه تخلى نهائياً عن حل مشكل بلاين، وهذه بحد ذاتها خطوة بالغة الأهمية.

ـ لماذا تركته، يا دان؟ هل يعقل ان يكون انزعاجها من هذه المنطقة السبب الوحيد لفراقهما؟ هل هي بارعة الجمال؟

ـ نعم، والى درجة كبيرة. لم يحدثني سكوت في هذا الموضوع، ولكني اعتقد ان ثمة امراً حدث في العاصمة و. . .

توقف دان عن الكلام، فأكملت زوجته رواية القصة:

ـ ذهب سكوت مرة في رحلة عمل لمدة اسبوع، ولكنه عاد فجأة في اليوم الرابع. لم يجد زوجته وابنته، وعلم انها ذهبتا الى العاصمة. تبعهما الى المدينة وعاد في اليوم التالي. . . ومعه مليندا فقط. لم يعرف احد ماذا جرى هناك، كما ان سكوت يرفض منذ ذلك الحين التحدث ولو بطريقة غير مباشرة عن سبب اختفاء بلاين من حياته.

ـ حدث هذا الأمر قبل عامين، وراح سكوت بعد ذلك يقضي معظم وقته في المزرعة. ولكنه بدأ يكثر في الآونة الأخيرة رحلاته الى العاصمة، ولا ادري ما اذا كان ذلك بداعي العمل. . . او الغرام.

ـ لا تهتمي كثيراً بما يقوله هذا الزوج المحتال، يا تيريزا. سوف تمضي سهرة رائعة مساء السبت، خاصة وان جميع اصدقائنا متشوقون لمقابلتك. ارتدي اجمل ثيابك وتألقي، ايتها العزيزة، لتريهم كيف يكون الجمال الخلاب والذوق الرفيع.

ذهبت تيريزا صباح اليوم التالي الى تقاطع الطرق لانتظار سيارة البريد، التي تمر في المنطقة ثلاث مرات في الاسبوع. وفيما كانت تنتظر السيارة شاهدت حصاناً يعدو نحوها بسرعة هائلة مخلفاً وراءه عاصفة من الغبار. وما هي الا لحظات وجيزة، حتى توقف الجواد قربها وسألتها راكبته الشابة بانفعال:

ـ هل انت الممرضة؟

ـ نعم.

ـ تعالي معي، بسرعة، من فضلك، فأختي بحاجة لعناية فورية.

ـ اخبريني بسرعة وايجاز عن مشكلة اختك، وكم يبعد بيتكما من هنا.

ـ انه على بعد حوالي خمسة كيلومترات. اختي اسمها ليلي، وزوجها سام داوت يعمل لدى السيد ميلوارد. ليلي حامل، واعتقد انها ستضع مولودها بين لحظة واخرى. اسمي جورجيا ماسترز.

ـ الا يوجد طبيب في...

قاطعتها جورجيا بعصبية وخوف شديدين:

ـ اتصلت به فلم اجده في عيادته، لانه يعالج احد المرضى في منطقة بعيدة. تركت له خبراً مع خادمه. تعالي معي، ارجوك!

ركبت تيريزا وراء الفتاة، بعد ان تناولت بسرعة صندوق المواد الطبية الاولية. وخلال دقائق معدودة، وصلت الشابتان الى منزل دوات. نظرت تيريزا الى ليلي، فعلمت فوراً انها ستضع مولودها بين لحظة واخرى. ابتسمت لها مشجعة، وقالت:

ـ انا تيريزا ستانتون، وسوف اساعدك قدر استطاعتي لتكون الولادة طبيعية وسهلة.

فتحت صندوق الاسعافات الأولية، فوجدت فيه معظم الاشياء الضرورية. طلبت من جورجيا احضار بعض الأمور الاخرى، وبدأت تعد نفسها لمساعدة ليلي. دخل رجل طويل القامة وخلع قبعته بيدين مرتعشتين، ثم قال:

ـ انا سام دوات، ايتها الممرضة. لا اعرف كيف اعبر لك عن امتناني. ليلي... هل هي... هل هذا هو وقت...

ـ نعم، يا سيد دوات، ولا داع ابداً للقلق. كل شيء على ما يرام. اطلب من جورجيا ان ترتدي ثوباً نظيفة وتغسل يديها جيداً، فربما احتجت لمساعدتها.

انهمكت تيريزا في عملها، وكانت جورجيا تنفذ كافة تعليماتها واوامرها بطريقة تثير الاعجاب.

وعندما رفعت رأسها لدى سماعها صوت سيارة في الخارج، هزت جورجيا رأسها نفياً وقالت:

ـ لا، انها ليست سيارة الطبيب.

وفي اثناء ذلك، كان سام يسير في الغرفة الصغيرة وقد بدا عليه الانفعال والتأثر. ولما سمع بعد فترة وجيزة صراخ المولود الجديد، فتح فمه وعينيه مصعوقاً وهم بالهجوم على الغرفة الاخرى. اوقفه سكوت، الذي وصل قبل قليل، قائلاً بلهجة هادئة:

ـ اجلس، ايها العزيز. سيستدعونك عندما يحين الوقت لذلك.

ثم وضع يده على كتف الوالد المتوتر الاعصاب، واضاف ضاحكاً:

ـ مبروك. لا شك في انه صبي مثلك.

دخلت جورجيا في تلك الاونة، وقالت بفرح ظاهر:

ـ سام، انه صبي رائع. ليلي بخير، ولكن الآنسة تطلب منك الخروج قليلاً لانهاء بعض الأعمال الضرورية والهامة. يا لها من ممرضة عظيمة، تعرف بالضبط ماذا تفعل! وتصور انها سمحت لي بمساعدتها! انا اطير من السرور والسعادة!

نادتها تيريزا، لبّت النداء بدون تردد. وبعد بضع دقائق، اطلّت من الباب وطلبت من صهرها الدخول لرؤية ابنه وزوجته. جففت الممرضة العرق المتصبب من جبينها ووجهها، ثم توجهت الى المطبخ. استدار نحوها الرجل الذي كان واقفاً قرب النافذة، وسألها بصوت ناعم حنون:

- هل كل شيء على ما يرام، ايتها الممرضة؟

- اوه، افزعتني يا سكوت! نعم، كانت ولادة طبيعية جداً والحمدلله. كنت اصاب في وقت من الأوقات بنوبة قلبية، عندما رفضت ليلي اطاعة بعض التعليمات. متى وصلت؟ اوه، كم اشعر بالعطش!

حملها سكوت بسرعة، ثم اجلسها على كرسي وقال:

- اجلسي، ايتها الحبيبة، وسأقدم لك فوراً فنجاناً من القهوة.

وفيما كانت تأخذ الفنجان من يديه، لاحظت انه يتأمل رأسها وشعرها المعقود فوقه. سألته باسمة عيناه، فقال لها ضاحكاً وهو يحل تلك العقدة الكبيرة:

- تبدين كمعلمة قاسية متعجرفة. آه، هكذا افضل! شعرك كالحرير، يا تيريزا. ملينا على حق، فهو فعلاً كشعاع الشمس.

وصل الطبيب هيو لاسيغ في تلك الآونة، وحيا سكوت قائلاً:

- مرحباً، يا سكوت. كيف حال ليلي الآن؟ هل خدعها الجنين مرة اخرى؟ لا يزال امامها اربعة عشر يوماً...

وضع حقيبته على الطاولة، ثم تأمل تيريزا لفترة طويلة وصفر اعجاباً بجمال وجهها وقوامها. وعندما بدا ان سكوت لن يعرفه عليها، مضى الى القول:

- ماذا يجري هنا؟ ابلغني الخادم بضرورة الاسراع الى منزل سام.

رفع نظره عنها بصعوبة عندما سمع صوت مياه تغلي، فابتسم وقال:

- عظيم، يبدو ان شخصاً ما اعد بعض الأمور...

وقفت تيريزا امامه كممرضة محترفة، وقالت:

- اسعدت صباحاً. اسمي تيريزا ستانتون. هل تريد معاينة السيدة دوات؟

تبعها الطبيب الى الغرفة، فحيى الوالدين السعيدين بمجيء الطفل الذكر. اشارت الى سام ليخرج من الغرفة، وقالت للطبيب بلهجة هادئة مهذبة:

- كانت حالة اضطرارية، يا سيدي. انا ممرضة ولست بواجبي المهني والانساني، بعدما تأكد لي غيابك عن القرية. اتصور ان كل شيء على ما يرام.

فحص الطبيب الأم وابنها، ثم قال لتيريزا:

- عظيم، عظيم. عملك رائع، يا آنسة. هل من مضاعفات؟

- لا توجد اي مضاعفات على الاطلاق.

- تيريزا ستانتون! اوه، انت الشابة التي تزور دان وماري رورك؟ هل انت في اجازة؟

- لا، فقد استقلت من عملي.

- لماذا؟ لأسباب شخصية ام لأخرى تتعلق بالوظيفة؟

- لأسباب شخصية، ولكن اسمي لا يزال موجوداً في السجلات الرسمية للممرضات.

- هل تنوين ممارسة التمريض هنا او في العاصمة؟

- ربما في وقت لاحق، لأنني سأعمل ابتداء من يوم الأحد المقبل لدى السيد ميلوارد كممرضة ومرافقة لابنته ملينا.

- اوه! ليلي، كل شيء على ما يرام. كنت محظوظة جداً لوجود الممرضة ستانتون في مكان قريب. سأراك غداً، ان شاء الله. لو لم تكن اختك كالشيطان، لكان بامكانها مساعدتك في رعاية الطفل. سأتحدث مع سام في هذا الأمر.

هنأ ليلي بالمولود الجديد، ثم اعطاها بعض النصائح الطبية وغادر الغرفة على عجل. تبعته تيريزا الى المطبخ، حيث كان سكوت وسام

وجورجيا لا يزالون هناك. وضعت يدها على ذراعه، وقالت له:

ـ جورجيا فتاة قديرة جداً، ايها الطبيب، وانا ممتنة جداً للمساعدة القيمة التي قدمتها لي. هذه كلمة حق لا بد لي من الادلاء بها امام الجميع.

رفعت جورجيا رأسها بحدة نحو هيو لاسيتر، وقالت بعصبية بالغة قبل ان تخرج بسرعة وتغلق الباب وراءها بعنف ظاهر:

ـ كان بامكان اي انسان بسيط غبي القيام بما قمت به، فلا تتعب نفسك بترجيه كلمات الثناء!

ـ ترى متى ستصبح هذه الصغيرة ناضجة وراشدة؟

رد عليه سكوت قائلاً:

ـ انها في التاسعة عشرة من عمرها، يا هيو، وهي تزداد جمالاً يوماً بعد يوم.

ـ حقاً؟ حسناً، يا سكوت، سوف اتذكر ذلك. سام، تحياتي الحارة لك وللعائلة. آنسة ستالارد، شكراً لك على مساعدتك القيمة لنا. هل انت متأكدة من انك لن تعيدي النظر في مسألة العودة الى مهنة التمريض؟ نحن هنا بحاجة ماسة الى الممرضات، والمؤهلات التي شاهدت نتائجها قبل قليل تثبت...

ـ شكراً، ولكنني مرتاحة الآن الى وضعي الحالي. اما بالنسبة الى السيدة دوات، فانا مستعدة لمساعدتها صباح كل يوم حتى السبت... اذا كنت ترغب في ذلك.

تأملها طويلاً، فاحمرت وجنتاها خجلاً. ثم قال:

ـ اسمي هيو... هيو لاسيتر، وسوف اكون بالتأكيد سعيداً جداً اذا قمت بهذه المهمة وخففت عني بعض المهام والواجبات. الى اللقاء جميعاً.

توجه الطبيب نحو الباب، ثم استدار نحو سكوت وقال له:

ـ يا لك من رجل سعيد الحظ!

ودعت تيريزا الأم السعيدة، وقالت لها انها ستزورها صباح اليوم

التالي. وعندما خرجت الى الحديقة، كان سكوت وسام يتحدثان معاً، فيما لم يظهر اي اثر لجورجيا. قررت العودة الى منزل صديقتها سيراً على الاقدام، فسألها سكوت:

ـ اين حصانك، يا تيريزا، كي يجلبه سام في وقت لاحق؟ سأوصلك بسيارتي.

ـ ليس لدي اي حصان هنا.

ـ اذن، كيف اتيت الى هنا؟ هل مشيت هذه المسافة الطويلة؟

ضحكت تيريزا وقالت للرجلين ان شخصاً اختطفها. وبعد ان روت لهما ما حل معها، انهت قصتها بالقول:

ـ تركت تيمي على ذلك المقعد، وعليه فان ماري ستفكر باحد امرين... اما انني هربت مع سائق سيارة البريد، واما ان احد الأسود تناول اليوم فطوراً شهياً.

ضحك سكوت من اعماق قلبه، وقال:

ـ يتحتم علي الآن اعادة اختطافك لكي نريح اعصاب تلك السيدة المسكينة.

شكرها سام وهي تصعد الى السيارة لتجلس في المقعد الأمامي، فيما توجه سكوت الى الجهة الاخرى وجلس وراء المقود. وما هي الا لحظات وجيزة، حتى كانت سيارته تنطلق بسرعة جنونية. قالت له تيريزا بلهجة جافة الى حد ما:

ـ لست مستعجلة الى هذه الدرجة، يا سكوت. هل من الضروري ان اموت بحادث سيارة، لأني نجوت من الوقوع عن حصانك المجنون في المرة الماضية؟

ـ آسف، يا فتاة. اللعنة، ها قد عدت الى الاعتذار ثانية!

ابتسمت بهدوء، ثم اغمضت عينيها وقالت:

ـ لم يكن الاعتذار يوماً جريمة نكراء، ايها الرجل العزيز. انه دليل على التهذيب والاخلاق الرفيعة.

ذهبت تيريزا كعادتها صباح اليوم الثالث لمساعدة ليلي، فوجدت

الأم وطفلها بحالة جيدة. . والوالد السعيد يختال كالطاووس ويكاد يطير فرحاً وسعادة. ولكنها لاحظت ان جورجيا تخاذلها الى درجة كبيرة، وتختفي من البيت كلما حضر هيو لاسبنغ للاطمئنان على الطفل وامه. لماذا تتصرف على هذا النحو، والفتاة لا ابهم بنفسها؟ انها جميلة وجذابة، ولكنها لا تكترث اطلاقاً بأناقتها ومنظرها. قررت تيريزا ان تباحثها بالأمر، حتى ولو اضطرت للتكلم معها بلهجة قاسية. وعندما واجهتها بحملة اقتراحات ونصائح تهدف الى اظهار انوثتها، احتجت جورجيا في بادىء الأمر ثم رضخت. . . حتى لمسألة قص شعرها، قائلة:

- يمكنك قص شعري بكامله اذا اردت، فلم اعد مهتمة بشيء. في اي حال، لن يلاحظ احد هذه التغييرات التي تتحدثين عنها.

- هل تشيرين الى شخص معين؟

- بالطبع لا. . . لا!

- اعتبرتني عصفورة صغيرة ان شخصاً ما يعمل في الحقل الطبي سوف يلاحظ بالتأكيد اي تغييرات.

رمت جورجيا الفرشاة التي كانت تحملها، وقاطعتها قائلة بحدة:

- لا تكوني سخيفة! انا بالنسبة لذلك الرجل طفلة صغيرة بحاجة الى تربية!

توجهت بسرعة نحو البيت، ولكنها استدارت فجأة نحو تيريزا وقالت باسمة:

- اشكرك على اهتمامك بي، ايتها العزيزة. سأحضر غداً لمساعدتك في اعداد الستائر.

تنهدت تيريزا بارتياح بالغ، وخاصة لأن الفتاة نهضت فوراً اشارتها الى هيو لاسبنغ. سوف تفرض على سكوت احضار جورجيا معها الى الحفلة، رضي بذلك ام لا، وستقنع الطبيب الشاب اثناء السهرة بالانضمام الى طاولتهم.

عادت الى منزل صديقتها، وهي تفكر بطريقة لحمل جورجيا على ارتداء فستان عوضاً عن قميص وسروال. طلبت المساعدة من ماري، فحظيت بموافقة فورية. وفيما كانت جورجيا تساعدها في اليوم التالي، اخرجت تيريزا من خزانتها فستاناً من الحرير الصافي، وقدمته اليها قائلة:

- سوف اكون سعيدة للغاية، ايتها الحبيبة، لو قبلت هذا الفستان. . . كهدية على عيد ميلادك. سوف يبرز فتنتك وانوثتك الى درجة كبيرة.

تأملت جورجيا الفستان البرتقالي اللون باعجاب بالغ وقالت:

- اوه، يا له من ثوب رائع! لو ارتديته اسخط واقبح فتاة في العالم، لبدت فيه جميلة جذابة! لا، لا يمكنني قبوله! وبالمناسبة، فعيد ميلادي لن يحل قبل اربعة اشهر من الآن. انت تفعلين ذلك لأنك. . .

- لأنني اريدك ان تقبليه مني بالروح ذاتها التي اقدمه بها، اي بكل سرور ومحبة.

دخل سكوت في تلك اللحظة، فوقع نظره اولاً على جورجيا وهي تتأمل نفسها في المرآة. قال لها بصوت ينم عن اعجاب حقيقي:

- جورجيا، ايتها العزيزة! سوف تبدين رائعة الجمال داخل هذا الثوب!

تدخلت تيريزا على الفور، وقالت له:

- اوه، سكوت، كم انا مسرورة لوصولك في الوقت المناسب للتأكد من تنفيذ اتفاقنا بالنسبة للحفلة. من المؤكد انك دعوت جورجيا للانضمام الينا، أليس كذلك؟

ثم التفتت بسرعة نحو الفتاة المذهولة، وقالت:

- ان لم يكن وجه لك الدعوة بعد، فسوف. . . سوف. . . ! اوه، كنت سعيدة جداً عندما اقترح سكوت ذلك، لأنني. . . لا اعرف منذ. . . جيداً.

نظرت ثانية الى سكوت، وسألته بلهجة تحمل في طياتها الوعيد

والتهديد:

- هل دعوتها ام لا، يا سكوت ميلوارد؟

وضع سكوت يده على قلبه، وقال لها بصوت يجمع بين الجد والمزاح:

- تجرحين قلبي ومشاعري بهذا التشكك، الذي لا ضرورة له اطلاقاً. كنت الاحق هذه الشابة الجذابة من مكان الى آخر لاوجه اليها دعوتي المتواضعة، ولكنني لم اجدها الا الآن. تقبلي دعوتي، يا آنستي الجميلة، قبل ان تنفذ تيريزا انذارها.

اعجبها كثيراً رد فعله الايجابي، فابتسمت وقالت:

- انه مثلكم، يا معشر الرجال! الم يكن من الاسهل لك ارسال الدعوة بواسطة مسام.

ودعهن سكوت بتهذيب مبالغ فيه، وسار نحو الباب. قالت تيريزا لماري وجورجيا، المنهمكتين في العمل، انها سترافق الضيف العزيز الى سيارته. وما ان اصبحا خارج الباب، حتى وجه اليها نظرة ساخرة وقال بتهكم واضح:

- الا تعرفين ماريا جيداً، ايتها العزيزة؟ ام انك يا ترى خائفة من والدها، وارادت وجود جورجيا معك... للحماية؟

- انت تعرف جيداً ان الدعوة كانت ابنة ساعتها. انا لست خائفة اطلاقاً من ماريا او والدها، ولكنني اسعى لحمل جورجيا على مخالطة الناس. هل تعتقد ان هيو لا يستطيع سيحضر الحفلة؟

- اوه، هذا هو السبب اذن! وزعت الادوار بطريقة ذكية جداً... انت صانعة الزيجات، والطبيب الشاب هو الهدف، وانا الوسيط الذي سيدعوه للانضمام الينا! ولكن، أليس من المعقول ايضاً انك تحضرين جورجيا لكي الهي بها عما يجري حولي؟

لم تحاول تيريزا الاعتراض على اشارته الى احتمال اهتمامها هي بالطبيب، وقالت له:

- انصحك بالا تحاول اللعب معها ظناً انها في عهدتي. في اي حال، اعتقد انها معجبة به... مع انه يعاملها كطفلة صغيرة.

- ماذا تريدين مطالبة هيو باعتبار جورجيا شابة، والاصرار على انا بالابتعاد عنها كأنها طفلة صغيرة؟ اوه، كم تشعرني كلماتك هذه بانني من مخلفات الماضي!

ثم اضاف بلهجة تتسم بالمرارة والأسى:

- انت وانا نناسب بعضنا جيداً، من حيث القلوب المحطمة والنفوس المعذبة... والحب الذي لا يدوم طويلاً.

- لا، يا عزيزي السيد ميلوارد، فالحب الحقيقي لا يزول بسرعة.

ثم هبت واقفة، واضافت قائلة:

- سأذهب الآن للاهتمام بشعر جورجيا. وراهنك منذ هذه اللحظة ان جميع الرجال الذين سيحضرون حفلة السبت، بمن فيهم العجائز مثلك، سوف يلوون اعناقهم امامها. شكراً على قبولك الدعوة التي فرضتها عليك. كنت رائعاً.

اخذ دان زوجته وابنته في وقت مبكر من مساء السبت، لأنه عضو في اللجنة المشرفة على تلك الحفلة السنوية، وظلت تيريزا وحدها في البيت... بانتظار سكوت وجورجيا.

تأخر مديرها الجديد كثيراً، واكتفى عند وصوله بالقاء تحية عادية جداً. احست بخيبة امل لا مبرر لها، عندما لم يشر من قريب او بعيد الى جمالها او اناقتها. ردت التحية بلهجة لائقة، فيما امسك بذراعها وسار واياها نحو السيارة. نزلت جورجيا من الباب الأمامي، فابتسمت تيريزا بارتياح بالغ وقالت:

- جورجيا، انك رائعة. أليست كذلك، يا سكوت؟

- بطريقة مذهلة، وخلابة، ولا تصدق!

ألقت جورجيا نفسها على المقعد الخلفي، وكأنها تقفز الى ظهر حصانها. وما ان همت تيريزا بالجلوس مكانها، حتى سمعت صوتاً ناعماً يسألها:

- تيريزا، هل سترقصين مع ابي؟
- مرحباً، يا مليندا. اوه، يا له من فستان جميل!
- هل سترقصين معه في الحفلة؟
- نعم سأفعل ذلك. انا دعاني الى الرقص بطريقة مهذبة.
- وهل ستدعوها بطريقة مهذبة، يا ابي؟
- نعم، يا حبيبتي. اجلسي الآن بالشكل المناسب، كيلا يضرب رأسك بالمقعد الامامي.
- اذا كنت تشعر بأي صداع، يا ابي، فسوف تقبلك تيريزا لاراحتك من الألم. ستكون انفع لأنها ممرضة.
- انا بخير، يا ملاكي، ولكني مستعد تماماً لتحمل اي اوجاع اذا وافقت تيريزا على معالجتي وفقاً لطريقتك المفضلة.
- يا لك من رجل يحب الغنج والدلال. انك تشبه تيموثي!
التفت سكوت نحو تيريزا باسماً، وقال:
- ايجعلني هو هزءاً للملأ!
ثم ضحك، واضاف قائلاً:
- بعيداً عن احاديث الاوجاع والوسائل المجدية لمعالجتها، اريد الاعتذار منك على هذا التأخير المزعج. اضطررت في آخر لحظة لمساعدة بقرة حامل لم يعجبها الانتظار حتى الصباح. انت ممرضة وتعرفين كم تطول بعض هذه الحالات الطارئة.

استقبلهم دان بمرحه المعتاد، وطلب من تيريزا على الفور مرافقته في جولة للتعرف على اصدقاء العائلة. بدا الخوف على وجه جورجيا وهمت بالانسحاب، ولكن سكوت وضع ذراعه على كتفها ومنعها من ذلك. ولما عادت تيريزا بعد حوالي ربع ساعة، لاحظت ان سكوت لا يزال واضعاً ذراعه على كتف جورجيا . . . التي كانت عيناها تلمعان ببهجة وسروراً. هل هي سعيدة بنظرات الاعجاب الشديد من هذين الشابين الوسيمين الواقفين قربها، ام بالذراع القوية التي تطوقها؟ ارتعش جسمها بعصبية عندما خطرت هذه الفكرة على

بالها.

ولكنها سرعان ما طردتها من رأسها، بمجرد رؤيتها هيو لاسينغ يقترب منهم. آه، ها هو الآن في طريقه الى عروس المستقبل! ولكنه حيا سكوت وجورجيا بشكل عابر. ثم امسك بيدها وقال بحماس ظاهر:
- آنسة ستانتون، كم انا مسرور بمشاهدتك! انها حقاً معجزة! هل احضرتها انت، يا سكوت؟
ثم وجه ابتسامته العريضة نحو جورجيا، وقال:
- مرحباً، ايتها الشقية الصغيرة. من ارغمك على الحضور الى هذه الحفلة؟ لا شك في انه شخص لا يعير حياته اي اهتمام حقيقي!

شعرت تيريزا برغبة قوية لتوجيه صفعة الى وجهه اللعين، توقفه من سبابه وتمنع عنه على جمال جورجيا وجاذبيتها. سحبت يدها من يده بسرعة عندما انتبهت الى نظرات سكوت الثاقبة، وسمعته يقول:
- يسعدني الليلة ان ارافق ثلاثاً من اجمل حسناوات هذه المنطقة واكثرهن رقة ونعومة.

اغتبطت مليندا لهذا الموقف في تلك الآونة، بهجومها على طبيبها الحبيب . . . الذي حياها بمحبة وحنان واثنى على فستانها الجميل. تألمت جورجيا كثيراً، لأنها كانت الوحيدة التي لم يوجه اليها هيو اي كلمة اعجاب او اطراء. حاولت الابتعاد، ولكن سكوت ضغط على كتفها ومنعها من التحرك. ابتسم هيو، وقال له:
- آمل في الا تكون انانياً وتصر على الانفراد بهن وحدك. لعمري انت، ايها العاشق الكبير، لن تتمكن من الاهتمام بهن بدون مساعدة. وبما انك اخترت على ما يبدو الآنسة الواقفة قربك، فاني ارى لزاماً علي . . . لا بل من دواعي بهجتي وسروري . . . الاهتمام بالآنسة ستانتون.
ثم احنى رأسه امامها، ومد ذراعه قائلاً:

- هل اتشرف بمرافقتك، يا تيريزا؟

نظرت الى سكوت مناشدة اياه الاعتراض او الاحتجاج، ولكنه لم يهب لمساعدتها كما توقعت... او بالاحرى كما تمنت. وللمرة الثانية خلال دقائق معدودة، ارادت ان تصفع رجلاً. لماذا لا يرفع ذراعه عن كتف جورجيا؟ لماذا يريد افساد خطتها الرامية الى الجمع بين هذه الفتاة والطبيب الذي يحبها؟ سارت مع هيو نحو المائدة الطويلة، وهي تقول لنفسها انها ستعيد الامور الى نصابها قبل انتهاء السهرة. نعم، ستفعل ذلك قبل العودة الى البيت.

- جورجيا فتاة جذابة للغاية، يا هيو. الا تعتقد انها تبدو الليلة ذروة في الجمال والروعة؟

- لا بأس بها اطلاقاً، واقر بانني فوجئت بهذا التحول الكبير. انت ايضاً، ايتها الحبيبة، تبدين رائعة الجمال.

تعمدت تيريزا تجاهل الشق الثاني من جملته، وسألته دون تردد:

- لماذا اذن لم تقل لها ذلك؟

- وهل كان مفترضاً بي اغراقها بكلمات الاعجاب؟

- لا، ولكن القليل من الاطراء يفرح قلوب الفتيات... وقد نلت وحدك القسط الوافر منه امام عينيها.

- تثنين على تصرفي معك، وتنتقدين موقفي منها في اي حال. يبدو ان سكوت يقوم بهذه المهمة على خير وجه. هل تعتقدين انها على وشك اقامة علاقة غرامية؟

- لا تكن سخيفاً، يا هيو. لو اراد سكوت اقامة مثل هذه العلاقة مع جورجيا، لفعل ذلك منذ زمن بعيد. كل ما في الامر انها خائفة بعض الشيء من المشهورات والساهرين، وتشعر بحاجة ماسة لمن يرافقها ويشجعها.

- اعتقد انني فهمت الآن سبب تشاغلها المتكرر، و...

قاطعته تيريزا بحدة وانفعال غريبين، وهي تتعجب هذا الاندفاع في الدفاع عن سكوت:

- هذا كلام رخيص وخسيس، يا هيو لاسينغ! تذكر ان سكوت متزوج... كان متزوجاً، وانه حسبما ارى ليس من ذلك النوع الذي...

- اوه، تيريزا! آسف! لم اقل هذا الكلام الا لاغاظتك، لانك تكونين جميلة جداً عندما تغضبين. ثم... لماذا نزعج انفسنا بالتحدث عن سكوت وجورجيا؟ لماذا لا نتحدث عن بعضنا... ثم نأكل، ونرقص معاً طوال الليل؟

شعرت تيريزا بوجود شخص وراءها، فتأكد لها على الفور انه سكوت ميلوارد. وضع يده على كتفها، وقال:

- تبعث لك ماري بأحر تحياتها، وتدعوك الى العشاء.

ارتعش جسمها بسبب ملامسته لها، واستدارت نحوه بسرعة وكأن قوة غامضة جذبتها بعنف لا يقاوم. كانت عيناه تقدحان شرراً، وشفتاه تفتران عن ابتسامة غاضبة. نظر الى الطبيب، وقال له بهدوء يشبه النار تحت الرماد:

- انت مدعو للانضمام الينا، يا هيو. هيا، يا تيريزا، وامسكي ذراعي كيلا تقعي... مع انني متأكد من استعداد الطبيب الشاب لمعالجتك اذا وقعت وكسرت ساقك مثلاً، لا سمح الله.

ضحك هيو وقال له:

- ارح اعصابك، يا سكوت، فلن احاول اختطاف هذه الشابة الجميلة منك... مع انني احب ذلك كثيراً. ثم... لم تقدم لي مساعدة لا تنسى بالنسبة للسيدة غوات، وقد احتاج الى مساعدتها مستقبلاً؟

رحبت بهم ماري واجلست هيو قرب جورجيا، فيما جلس سكوت بين ابنته ومربيتها الجديدة.

لاحظت تيريزا ان دان وماري روزلد وسكوت ميلوارد يتمتعون بشخصية قوية في تلك الحفلة، وان طاولتهم تجذب معظم الساهرين... وخاصة لوجود صبيتين جميلتين غير مرتبطتين باحد.

كان سكوت يهتم بها شخصياً، ولكن بطريقة رسمية جداً تتعارض الى درجة كبيرة مع تصرفاته الطبيعية الى ابعد الحدود مع الآخرين.

ذهبت مع صديقتها بعد العشاء الى الغرفة المخصصة للحضانة، واطمأنتا الى وجود جانيس وميلندا، مع بعض الأطفال الآخرين، تحت اشراف ثلاث سيدات مسنات انبرين للاهتمام بالصغار ورعايتهم طوال فترة الحفلة. ولما عادتا، لاحظت تيريزا بارتياح ان هيو يراقص جورجيا . . . التي بدت في ذروة السعادة. وقف سكوت ودان، والرجال الثلاثة الذين كانوا معهم، تأدباً واحتراماً. اخذ دان زوجته فوراً الى حلبة الرقص، فاعتذر الرجال من سكوت وتيريزا وتركوهما منفردين. قدم لها سيكارة، فأخذتها منه بيد مرتجفة. وبعد فترة طويلة من الصمت ومراقبة الراقصين، قال لها سكوت:

ـ اعتقد ان علينا الانضمام الى الآخرين. هل انت مستعدة؟

وقفت بتردد، فما كان منه الا ان امسك بذراعها وضغط عليها قائلاً بحدة:

ـ تذكري، يا آنسة ستانتون، انني عندما ادعو شابة للخروج معي فلا اتوقع منها ان تختفي مع رجل آخر بمجرد وصولنا. واضح؟

ـ لا اذكر ابداً انك دعوتني الى هذه الحفلة، بل قلت لي ان علي مرافقتك اليها. كذلك فمن المحتمل ان الاهتمام الشديد الذي ابديته تجاه جورجيا، حمل هيو على الاعتقاد بانني لست مرتبطة بك . . . وهذا هو الواقع، في اي حال.

ـ انت مرتبطة بي هذه الليلة، واريدك ان تتذكري ذلك جيداً. اعلمي ايضاً ان اساليبك المثيرة هذه للجمع بين هيو وجورجيا سوف ترتد عليك، لان الرجل على ما يبدو مهتم بشابة اخرى. الا تعرفين انك عندما ترمقين مثل هذه النظرات المغرية والمثيرة نحو رجل، فانه ينسى بقية العالم حوله؟

ـ وهل هذا هو شعورك انت ايضاً؟

اللعنة! كان تلهفها لمعرفة الجواب اسرع من عقلها وتفكيرها!

توقف سكوت فجأة وتأملها بعض الوقت، قبل ان يقول لها بصوت لا يحمل في طياته اي غضب او انفعال:

ـ الزمن لا يلدغ من الجحر مرتين. وعليه، يمكنك التأكد من الآن من انني لن انسى العالم وما فيه لاجل عينين تضجان فتنة واغراء . . . وخاصة مثل هاتين العينين اللتين اكتشف خطيبك السابق انهما لا تستحقان الثقة والاخلاص. هكذا حدث معي عندما . . .

ـ هل تحكم على غالبية الناس، يا سيد ميلوارد، نتيجة خبرتك مع الاقلية؟ وماذا تعرف عن شؤوني الخاصة، يا رجل؟

تحولت قسماته فجأة الى رقة وقال لها بلهجة صادقة:

ـ اعذريني، يا تيريزا، بحق السماء. كلامك صحيح تماماً بالنسبة للامرين معاً. ارجو قبول اعتذاري المخلص عن هذا التصرف غير اللائق ابداً والذي ظهر مني.

ـ اعتذارك مقبول، يا سكوت. ولكن . . . لا تتسرع مستقبلاً في اصدار احكام على صحابك قبل الاستماع الى وجهات نظر المدعى عليهم.

ـ انا حقاً آسف، يا تيريزا. ربما اردت يوماً ما اطلاعي على معضلتك واسبابها. فكشف المشاعر في كثير من الاوقات يخفف الى حد بعيد من عذاب النفس وآلامها.

تنهدت تيريزا، وقالت له بلهجة ناعمة:

ـ تتحدث بحكمة لا تطبقها على نفسك، يا سكوت. فلو قمت يوماً بما اقترحته علي الآن، لاكتشفت ان هذه المرارة التي تكاد تحرق قلبك وعواطفك سوف تذهب مع الريح . . . والى الابد.

لم يعلق على اقتراحها بشيء، ولكنه قال لها عندما دخلا قاعة الرقص:

ـ لنضع احزاننا جانباً ونتمتع بوقتنا قدر الامكان. بين ذراعي الآن فتاة جميلة، والليلة مثيرة ساحرة، والموسيقى حالمة، وانا ارغب

في القضاء على الذكريات المؤلمة. هل تسمحين بحقك في بقائي لتحقيق ذلك، يا تيريزا؟

ـ بكل سرور.

اعجبها اسلوبه في الرقص، وشعرت بكثير من الارتياح بين ذراعيه. وبعد مضي فترة من السهرة، بدأت تيريزا تحس باقترابه منها قبل سماع صوته. اذهلها هذا الاحساس وازعجها هذا الشعور، ولكنها قررت التمتع بوقتها الى اقصى حد. راقصها هيو مرات عديدة، في حين ان سكوت لم يراقص احداً غيرها. اما جورجيا، فكانت تنتقل بسرور... وحياء من شاب الى آخر. توقفت الموسيقى فجأة لكي يرتاح اعضاء الفرقة بضع دقائق، فاقترب سكوت من تيريزا وهيو قائلاً:

ـ حان الوقت للخروج الى الحديقة وتنشق الهواء اللطيف. يكاد الدخان هنا يعمي الابصار. تفضل معنا، يا هيو.

وفي الخارج، التفت الطبيب الشاب نحو تيريزا وقال:

ـ هل تعرفين ان الصغيرة جورجيا فتاة غريبة الأطوار؟ تعبت كثيراً لاحملها على الكلام...

ـ انها خجولة جداً، يا هيو، وتحاول اخفاء ذلك بالتظاهر بالجدية وعدم الاهتمام. ثم... اريدك ان تتوقف عن وصفها بالفتاة الصغيرة. انها شابة صبية رائعة لا تكبرها الا بخمس سنوات، ايها الطبيب العجوز!

ـ آه، انت على حق، فتلك الجدية المصطنعة ذابت الى درجة كبيرة عندما حدثتها عن الطبابة والتمريض. ولكني لا اتصور انها...

ـ دع التصور لها، يا هيو. كانت مساعدتها لي اثناء ولادة ليلى قيمة جداً، واعتقد ان تصرفاتها التي تسميها صبيانية تخفي وراءها طبيعة عاقلة وحساسة...

قاطعها سكوت، قائلاً بصوت ناعم ساخر:

ـ الحملة النفسية القديرة!

لم تأبه لملاحظته، بل مضت الى القول بلهجة قوية:

ـ كنت سأحدثك عن مؤهلاتها المحتملة في هذا المجال. اما اذا قررت عدم التخلي عن مواقفك المتكررة والسخيفة بالنسبة الى سنها، فاني سأبحث لها عن عمل في مكان آخر.

ابتسم سكوت، وقال بلهجة المذهول:

ـ احذرك، ايها الطبيب العزيز، من الوقوع في شرك تنصبه لك جارتنا الجميلة... ذات الكلام المعسول.

ـ لا تسمع كلامه، يا هيو. قل لي بربك، هل تبدو جورجيا الليلة كاحد الشبان... كما يحلو لك وصفها؟ تأملها بدقة وعناية، ولاحظ كيف يحيط بها شبان من خيرة ابناء المنطقة... ويعتبرونها قمة في الجمال... والانوثة، ولكن عجوزاً مثلك لا...

ـ انا لست عجوزاً و...

ـ اذاً، فسوف تطلب منها بطريقة مهذبة تليق بالراشدين امثالك ان تعمل كمساعدة لك. ستدفع لها جيداً وتعاملها كشابة تستحق هذه الوظيفة. هل ستفعل ذلك، ايها الطبيب؟

تردد هيو لحظة، ثم قال لها بصوت حماسي تقريباً:

ـ اذا كنت توصين بذلك، ايتها الممرضة.

ـ من صميم قلبي. شكراً لك، يا هيو. واؤكد لك بانك لن تندم على هذه الخطوة.

هم هيو بالذهاب، وهو يتمتم بعض كلمات تيريزا عن العمل والمعاملة. سألته عما اذا اتى الى الحفلة بمفرده، وعندما رد عليها بالايجاب، قالت له:

ـ اذن، فأنا واثقة من انك قادر على ايصال الآنسة ماسترز الى بيتها. سنحتاج سكوت وانا الى المقعد الخلفي لننام في طريق العودة، وسيكون سكوت ممتناً لك...

تردد سكوت قليلاً، ثم قال:

ـ اوه، نعم، يا هيو، شكراً!

- بكل سرور، ولكن . . . بما ان منزل جورجيا قريب من منزلك، يا سكوت، فما رأيك لو اعدتها انت في حين . . . ! لا، لا . . . سأذهب الى قدري! الى اللقاء.

ابتسمت تيريزا بارتياح بالغ، ورددت كلمة قدر مرات عديدة. ضحك سكوت، وسألها بنعومة عما اذا اشتركت كثيراً في السابق بمثل هذه الألعاب التي تتعلق بحياة الانسان ومصيره.

- انها المرة الأولى، يا سكوت.

- ولكن، الا تعتقدين انك على عجلة من امرك؟ اليس ممكناً ان يبتعد عنها . . . نهائياً؟

- اضرب حديداً حامياً. اذا اعطينا جورجيا فترة للتفكير، فسوف تخاف وتتراجع الى قوقعتها. سيتمكن هيو الآن من وضع حد لذلك، بدعوتها للعمل معه. وعليه، فلن تتصور ابداً ان الغرام سيكون جزءاً لا يتجزأ من هذه الصفقة.

اوصلها سكوت الى منزل صديقتها، فقالت له:

- امضيت سهرة رائعة جداً، يا سكوت، والفضل عائد لك. شكراً.

- هذا من دواعي سروري، يا آنستي العزيزة.

امسك بيدها واقترب منها كثيراً، فشعرت بوجود صراع قوي يتفاعل في اعماقه. هل يريد عناقها؟ انخفضت عيناها واعدت نفسها لذلك، ولكن لحظات طويلة مرت لم تسمع خلالها سوى دقات قلبها. نظرت اليه، فرأته يبتسم ثم يقول:

- كان من الممكن جداً ان تكون سهلة وممتعة، ولكن . . . لنترك الأمور الى وقت آخر. اريد فقط التأكد من حضورك غداً.

- لا تطلق العنان لخيالك وتصوراتك، يا سكوت ميلوارد. كنت ستصاب بخيبة امل شديدة، فيما لو رغبت في خطوة توقعتها . . . سبيلة.

نزل من السيارة واستدار حولها ليفتح الباب الآخر. هل تحل

اليها، يا ترى؟ وقف امامها، فأحست بضعف وارتعاش قويين في قدميها ورجليها. سألها بلهجة جافة وباردة:

- هل احضر غداً لأخذك؟

خرجت من السيارة ورفعت رأسها بعنفوان، ثم قالت:

- يمكنك الحضور بعد الغداء، اذا كان ذلك يناسبك.

- نعم يناسبني، شكراً.

كانت سهرة رائعة للغاية. فلماذا افسدها بهذه الملاحظات المتغطرسة والساخرة الفارغة؟ كيف ستعيش مع هذا الرجل في بيت واحد؟ لا، ستكون قوية وستحاربه جاذبيته القاتلة! سوف تتجنبه قدر الامكان؟ نعم، هذا ما ستفعله!

٥ - لست موظفة، بل صديقة

جلست تيريزا مع ماري ودان في الحديقة . . . بانتظار وصول سكوت. هل سيتصرف معها بطريقة ودية، ام بأسلوب ساخر قاس كما فعل في الليلة السابقة؟ يا له من انسان مزاجي، يتحول بين لحظة واخرى من رجل لطيف ورقيق القلب الى شخص متعجرف وسليط اللسان!

احست فجأة بتعاطف مع الابن، فالحياة مع سكوت صعبة ومرهقة . ساعة يرفعك الى السماء، وساعة يخسفك في باطن الارض. ولكن، لماذا تتعب نفسها بمثل هذه الافكار؟ هل لانها على وشك الدخول الى عرين الأسد، ام لانها . . .؟ في اي حال، هي ليست زوجته . . . ولا مبرر اذن لهذه التصورات المزعجة!

وصل سكوت ومعه ابنه، الذي كانت تقفز فرحاً وسروراً. شرب الجميع عصير البرتقال المثلج، وتبادلوا بعض الأحاديث الودية.

عانقت تيريزا كلاً من ماري ودان وشكرتهما على حسن ضيافتهما، ثم صعدت بتردد الى سيارة سكوت. وما ان ابتعدت السيارة قليلاً، حتى لوحت لهما بيدها . . . وقد بدأت تشعر بالوحدة. ولكن اعصابها ارتاحت الى حد كبير، عندما لاحظت ان تصرفات سكوت كانت طبيعية وعادية.

وفي الطريق الى منزل ميلوارد، اوقفتهم جورجيا وقالت للشخصين الجالسين في المقعد الأمامي بعد السلام على ميليندا:

ـ شكراً لتوقفك، يا سيد ميلوارد. كل شيء على ما يرام، والجميع بخير. تيريزا، اتمنى لك التوفيق في مهمتك الجديدة واريد تقديم هذه الباقة الصغيرة من الازهار لك عربون محبة وتقدير. كذلك، اردت ابلاغك ان عمي . . . الطبيب لامبيغ . . . طلب مني مساعدته في العيادة. لا اعرف ماذا سأفعل. ليتي تشجعني كثيراً على قبول الوظيفة، ولكنني اود بحث الموضوع معك. هل يمكنني زيارتك غداً؟

ـ طبعاً، يا عزيزتي، وانا متأكدة من ان سكوت لا يمانع ابداً . . .

نظرت اليه بتردد قبل اكمال جملتها، وقد ادركت فجأة انها اصبحت منذ اليوم موظفة لدى هذا الرجل. ابتسم سكوت بحرارة لجورجيا، وقال لها:

ـ افعلي ذلك، يا جورجيا، متى اردت.

ثم التفت الى تيريزا، واضاف مداعباً:

ـ لا مبرر ابداً للاستئذان مني، فمليندا بحاجة للمزيد من الوجود النسائي.

ـ شكراً، يا سيد ميلوارد. الى اللقاء اذن، يا تيريزا، وانت ايضاً، ايتها الحبيبة ميليندا ـ عاد سكوت الى التحدث ثانية مع تيريزا، وكان صوته هذه المرة اكثر نعومة ورقة. قال:

ـ تيريزا، ارجوك الا تزعجي نفسك بسؤالي كل مرة تتوقعين فيها زيارة احد لك. اريدك ايضاً اعتبار منزلي كأنه لك، طالما انت فيه.

انك تقدمين لي خدمة عظيمة برعايتك فتاتي الصغيرة. لا تفكري بي كرب عمل، بل . . . كصديق ووالد ممتن لخدماتك.
ـ شكراً لك، يا سكوت، سأفعل ذلك. كما انني سأكون حذرة بالنسبة الى عدد الاصدقاء . . . وتوعيتهم.
اخذتها مليندا الى غرفتها، فيما اهتم سكوت بانزال الحقيبتين والاغراض الصغيرة الاخرى التي احضرتها معها. لم تهتم تيريزا كثيراً بالاثاث، الذي بدا حزيناً ومهملاً الى حد ما، بل وقفت امام النافذة الكبيرة تتأمل باعجاب ظاهر المنظر الرائع الذي تطل عليه. دخل سكوت، ثم قال بعد لحظات:
ـ رباه، لم اكن اعرف حتى الآن مدى تعاسة هذه الغرفة. استبدلي هذه الستائر، ان لم تكن تعجبك، وحددي لي كافة الامور التي تريدين تغييرها كي احضرها لك خلال هذين اليومين. سنشرب الشاي على الشرفة، عندما تصبحين جاهزة لذلك. يبدو ان فيرا وخطيبها تأخرا في ترحلهما، فالعاشق المسكين يتحرق شوقاً لانتزاعها من بين ايدينا.
خرجت تيريزا الى الشرفة بعد بضع دقائق، فرأت سكوت يتحدث مع فيرا . . . والخطيب المسكين الذي بدا في ذروة السعادة. وقفت فيرا لتحيتها، وقالت:
ـ آسفة، يا آنسة ستانتون، لانني لم اكن هنا لمساعدتك. سمح لي السيد سكوت مشكوراً بالذهاب فوراً، كي نصل الى العاصمة قبل منتصف الليل. هل انت قادرة على معالجة الامور بمفردك؟ اعني بالنسبة الى عشاء مليندا . . . وحمامها . . . وثيابها . . .
ـ وهل نسيت انني مرضة، يا آنسة سميث؟
ـ ابداً، يا عزيزتي، واعرف ايضاً ان الممرضات عادة يجدن طريقهن بكل سهولة. اعددت شيئاً خاصاً لعشاء مليندا، ستجدينه في المطبخ.
ـ اوه، وهل تعدين لها جميع وجباتها؟

ـ لا . . . اطلب من الطاهي او الخادمة اعداد الوجبة التي اريد، ولكنني احب اعداد هذا الطبق الخاص بنفسي.
تدخلت مليندا عندئذ، لتقول:
ـ وانا اكرهه كثيراً، يا تيريزا.
غادر الخطيبان منزل ميلوارد بعد ساعة تقريباً، شاكرين سكوت على هديته المالية الكريمة. تمنى لهما الثلاثة زواجاً سعيداً وحياة رغيدة، وساروا معهما حتى الباب الخارجي.
ـ هل تريدين، يا مليندا، مساعدتي في ترتيب حاجياتي؟ اعذرنا، يا سكوت.
ـ لست بحاجة للاعتذار من ابي، يا تيريزا، فهو ايضاً يقيم هنا.
ـ يقتضي التهذيب واللباقة بذلك، يا حبيبتي، حتى ولو كان والدك . . . ويعيش معك في بيت واحد.
ـ اذن اعذرنا، يا ابي، فلدينا اعمال كثيرة.
بحثت تيريزا عن سكوت في وقت لاحق، لتسأله عما تفعل بالنسبة الى نوم ابنته. وعندما لم تجده، اخذت الفتاة الى الحمام ثم اطعمتها وذهبت معها الى غرفتها. نامت الطفلة خلال دقائق معدودة، فقررت تيريزا التوجه الى قاعة الجلوس. التقاها سكوت في بداية الممر الطويل، وقال:
ـ انها لا تذهب الى النوم في مثل هذا الوقت المبكر، وقبل الحديث الذي نتبادله معاً كل مساء اكون فيه هنا.
ـ ليس هذا الوقت مبكراً ابداً بالنسبة الى فتيات في سنها، كما انها كانت مرهقة جداً وبحاجة للنوم.
ـ نسيت تماماً ان خادمتها اليوم في اجازتها الاسبوعية، مما اضطرك للقيام بجميع هذه المهام التي ليست من ضمن عملك. ارجو الا يزعجك ذلك ويحملك على اعادة النظر في . . .
ـ لا تكن سخيفاً . . .
توقفت عن اتمام كلامها، عندما ادركت ان هذه ليست بالطريقة

التي يخاطب بها ارباب العمل. ابتسم سكوت، وكأنه قرأ افكارها، ثم قال:

ـ نعم، يتحتم عليك احترام رب البيت! تتكلم الآن بجدية، يا تيريزا . . . اوه، هل يفترض بي الآن استخدام كلمة مربية او آنسة او انت عندما اناديك او اخاطبك؟

ضحكت تيريزا، فمضى الى القول:

ـ كلير هي التي ستقوم بكافة الأعمال الخاصة بمليندا . . . مثل الحمام، وغسل الثياب، واعداد الطعام. مهمتك انت محصورة بالاشراف على هذه الأعمال، والتركيز بشكل اكبر على الاهتمام بصحة مليندا وثقافتها واخلاقها. هذه بحد ذاتها، هي مهمة كبيرة وسوف تستغرق كل وقتك. هيا معي الآن الى الشرفة لتناول الوجبة السريعة التي اعدتها لنا ماتيلدا. ثم يذهب كل منا الى فراشه.

ابلغها اثناء العشاء انه مضطر للذهاب الى المدينة بعد ظهر اليوم التالي، للقيام ببعض الأعمال الضرورية. ثم اضاف قائلاً:

ـ سأبقى هناك يوماً او يومين، وفقاً لما يتطلبه العمل. اريد منك قائمة بكل ما تحتاجه من مأكولات او ثياب او ما شابه ذلك لاحضرها معي. لا تحاولي التقشف في طلباتك، فاموالي المادية سليمة جداً والحمدلله. آسف لتركك بمفردك فور انضمامك الينا، ولكنني مضطر للذهاب. هل ترغبين في استدعاء جورجيا لتمضية هذه الفترة معك؟

ـ لا، شكراً، فانا قادرة تماماً على معالجة الأمور بمفردي. سأعد لك القائمة غداً صباحاً. هل يمكنني الآن ان اتمنى لك ليلة سعيدة؟ الوقت متأخر، ومن المؤكد ان الآنسة مليندا ستستيقظ في ساعة مبكرة جداً.

ـ بربك، يا فتاة، لا تطلبي الاذن مني كلما اردت القيام بأي خطوة صغيرة كهذه. سأكون بالطبع جاهزاً لاصدار الأوامر والتعليمات، عندما يتعلق الموضوع بمسألة هامة. اما في الحالات الاخرى، فانت

حرة طليقة كالهواء.

احمرت وجنتاها قليلاً، وقالت:

ـ لا يمكن للتهذيب ان يذهب هباء، يا سكوت. شكراً جزيلاً على هذا العشاء الشهي، وتصبح على خير.

حضرت جورجيا بعد انقضاء اقل من ساعة على مغادرة سكوت، وبدأت فوراً التحدث بلهفة وحماسة عن عملها المحتمل مع هيو. اتصلت بابنة عم لها تقيم وحيدة في شقة قريبة من العيادة، فشجعتها على قبول الوظيفة ودعتها للاقامة معها. وعندما تم الاتصال بالطبيب للاعلان عن قبول المهمة، احست بخجل شديد واعطت السماعة بسرعة الى تيريزا.

ـ هنا الطبيب لاسوني. من المتكلم؟ من المتكلم؟

ـ تيريزا ستانتون، يا هيو.

ـ مرحباً، ايتها الحبيبة. يسعدني دائماً سماع صوتك الجميل. هل من مشكلة؟

ـ كل شيء على ما يرام، يا هيو. احدثك بالنيابة عن جورجيا، لانها كانت قد ذهبت الى بيتها عندما اعطونا هذه الكلمة. متى تريدها ان تبدأ العمل؟ انها مستعدة وجاهزة.

ـ حقاً؟ حقاً؟ ولماذا تقف قربك الآن وتتنفس بمثل هذه الصعوبة؟

ثم ضحك، واضاف قائلاً:

ـ دعيني اتكلم معها، ولا تخافي فلن اعضها. كيف حال سكوت؟

ـ ذهب الى العاصمة و . . .

ـ عظيم، ساحضر لزيارتك هذا المساء، فقد تحتاجين وسامتي وجاذبيتي عندما لا يكون قريباً.

ـ لا، ارجوك، يا هيو. انا متعبة جداً واريد الذهاب الى النوم في وقت مبكر. وداعاً الآن، واليك جورجيا.

تلعثمت . . . وتلعثمت حتى كانت الكلمات القليلة والمتقطعة تختنق في حلقها. سألتها تيريزا عما تضمنه الحديث بينهما، فقالت:

ـ طلب مني الا استخدم لغة المهني الا في العيادة. ويحق لي ان ادعوه هيو، كما كنت افعل دائماً. قال ان عملي يبدأ صباح الاثنين.

ـ هل ابلغك كم سيعطيك في الشهر؟

ـ اوه! نسيت ان اسأله عن ذلك، وهو لم يذكر شيئاً عن هذا الموضوع.

ـ جورجيا ماسترز، يجب ان تكوني دقيقة جداً اذا كنت ستعملين في عيادة طبيب. لا يهم الآن، فربما كنت مرتبكة لأنك تحبين طبيبك قليلاً.

ـ لا تكوني سخيفة، يا تيريزا ستانتون، فأنا لا احب هذا الرجل او غيره.

ـ مهلاً، ايتها العزيزة، وهيا لنشرب فنجاناً من الشاي.

تناولت تيريزا وميليندا طعام الغداء ظهر اليوم التالي، ثم اعطت كل منهما قطعة قماش وراحت تعمل عليها. اختارت تيريزا قطعة كانت مخصصة للقميص، واعدت منها فستاناً جميلاً للعبة ميليندا، وفيما الطفلة غارقة في عملها، لاحظت مربيتها الجديدة انها نسخة نسائية طبق الاصل عن والدها! وشعرت برغبة جامحة لضمها بين ذراعيها بمحبة وحنان بالغين. ثم تحول هذا الشعور فجأة الى كره شديد للام التي يمكنها التخلي عن ملاك كميليندا. . . ونقل تلك المسؤولة. اعطتها لعبتها. . . او بالاحرى ابنتها، كي تعبر الطفلة عن تسميتها، فلمعت عيناها ببهجة وسروراً وقفزت على صديقتها الجديدة قائلة:

ـ اوه، تيريزا! اوه، كم احبك! احبك كثيراً، الآن والى الابد!

ثم انهمرت الدموع من عينيها البريئتين الجميلتين، واضافت بلهجة حزينة:

ـ ارجوك، لا تذهبي وتتركيني! احبك اكثر بكثير مما تتصورين، يا تيريزا!

ضمتها اليها تيريزا برقة ، وراحت تتمتم في اذنها كلمات

حب لا تصدر عادة الا عن ام او عمن تشعر بحنان الامومة. طلبت منها الصغيرة وعداً من القلب بأنها لن تتركها ابداً، فوعدتها تيريزا بذلك واخذتها الى الحديقة لتلعب.

اعدت لها طعام العشاء، ثم اخذتها الى الحمام ومنه مباشرة الى السرير. اخبرتها قصة حلوة عن فتاة صغيرة تريد تعلم القراءة والكتابة، فتحمست ميليندا للامر ونامت قريرة العين. اشعلت تيريزا سيكارة وخرجت الى الحديقة، تتأمل السماء الصافية والنجوم المشعة. هل يفعل سكوت الشيء ذاته الآن مع سيلفيا، تلك الارملة الطروب التي حاولت ونجحت في اختطافه منها؟ ولكن، ما لها ولهم جميعاً. . . سكوت، فريك، سيلفيا، جورجيا، هيو، وغيرهم!

دخلت الحمام وفتحت الماء البارد فوق رأسها بكل قوة، علّ البرودة تساعدها على طرد تلك الافكار السوداء المزعجة. وما ان كادت تنجح في ذلك، حتى رن جرس الهاتف. جففت رأسها وجسمها بسرعة، وتوجهت الى غرفتها. وبعد قليل، حضرت كليو ومعها كوب من الحليب الساخن. ابتسمت لها وقالت:

ـ اتصل السيد سكوت قبل دقائق، فابلغته بوجودك في الحمام طلب مني ابلاغك تحياته، وبأنه سيأتي غداً. احضرت الحليب الساخن، لأن السيد سكوت طلب مني الاهتمام بك وبالآنسة الصغيرة. هل تريدين اي شيء آخر، يا آنستي؟

ـ لا، شكراً.

ـ اذن تصبحين على خير، والرب يرعاك.

ـ وانت ايضاً، يا كليو.

اوه، يا للمفارقة العجيبة! ففي حين كانت الافكار الخبيثة تجول في رأسها، كان سكوت ينتظر مكالمة هاتفية! ولكن. . . لماذا لم يصر على التحدث معها هو شخصياً؟ اوه، كم هي انانية!

في صباح اليوم التالي بهدوء وسكينة. . . وتعليم. وقالت ميليندا

ان الكلمات التي اعجبتها اكثر من غيرها هي. . . اب، تيريزا، الفر، وملیندا. . . لانها تحب هؤلاء الاشخاص الثلاثة وصديقتها الفر الصغير اكثر من اي انسان في العالم!

٦ - الألم يجلب النوم

رمت تيريزا الكتاب من يدها بعصبية بالغة، لأنه لم يعد يعد. . . ولم تعد هي بالتالي قادرة على التركيز والاستيعاب. ازعجتها افكارها وتصرفاتها، ورأيت نفسها على الانجراف وراء مشاعر اشبه بالسراب. طلب العقل من القلب السخيف التوقف عن الانزلاق الى تلك الهوة السحيقة التي لا عودة منها. هل تتوقع ابتسامة وضمة كمليندا، ام نظرة غطرسة وازدراء؟ هل تعتقد نفسها زوجته وربة بيته؟

سمعت ضحكة مليندا، فقررت على الفور التنزه معها لبعض الوقت حتى يحين موعد الحمام. وفيما كانتا جالستين على حافة نهر قريب، صرخت مليندا فجأة:

- اب! الى اب!

وصلت الصغيرة الى والدها وهي تلهث من التعب، فضمها الى

صدره بحنان ظاهر وطبع على خديها قبلتين حارتين. ابتسم تيريزا
وضم يديها بين يديه القويتين الدافئتين، ثم قال:
ـ مرحباً، يا تيريزا.
شعرت بالنار تنطلق بسرعة من يديها إلى كافة أنحاء جسمها، ولكنها سيطرت قليلاً على أعصابها وقالت له بصوت ناعم:
ـ أهلاً، يا سكوت.
حلت كلير بعض الأكياس المعقدة، وهي تقول:
ـ ما هذه الأغراض كلها، يا سيد سكوت؟ وماذا يوجد في هذه العلبة المستطيلة هناك؟
ـ من يدري؟ الصبر مفتاح الفرج، فانتظري قليلاً. أغراض كثيرة، أليس كذلك؟ من هو المسؤول عن هذا الأمر، يا ترى؟ وهل يمكن لغير النساء إعداد مثل هذه القائمة الضخمة؟
تنهدت تيريزا بارتياح، عندما أنهى كلامه ضاحكاً، وقالت له باسمة:
ـ دعني أحضر لك، يا سكوت، كوباً من العصير البارد لتشربه على الشرفة.
ـ عظيم، شكراً. مهلاً، يا مليندا. فأغراضك كلها موجودة هنا. اتركيني الآن لحظة لأغسل وجهي وهاتين اليدين القذرتين.
جلس الثلاثة بعد بضع دقائق على الشرفة، ثم سمح سكوت لابنته بمشاهدة هديتها. فتحت العلبة وشهقت فرحاً وسروراً، عندما رأت آلة صغيرة للحياكة والتطريز تعمل على الكهرباء... ومعها كل ما تحتاجه من علب وأقمشة ملونة. وفيما كانت تتأملها بإعجاب منقطع النظير، فتح سكوت علبة ثانية وأخرج منها غطاء وردي اللون ووسادة مماثلة لتيريزا، وآخر ذا لون أزرق سماوي مع وسادة لمليندا.
ضمت تيريزا الوسادة إلى صدرها ونظرت إلى سكوت بامتنان بالغ. أما مليندا، فقد هجمت عليه وراحت تلثم خديه وجبينه بقبل الشكر والمحبة. أبعد رأسه قليلاً عن ابنته، وقال:

ـ أحضرت أيضاً كمية وافرة من علب الدهان، وسوف نمضي الأيام القليلة المقبلة في البيت لكي نعمل جميعاً بجد ونشاط على تحويل جميع الجدران إلى لون النقاء والطهارة.
ـ أوه، سكوت، أنت... أنت... أشكراً جزيلاً على الغطاء والوسادة. اللون جميل للغاية. لم أتصور أنك تحسن الاختيار... أعني... أنها رائعة...
ـ فهمت قصدك، يا آنستي الجميلة. لنفتح هذا الصندوق الكبير قبل إصابتك بأي انهيار عصبي.
حدقت تيريزا مذهولة بآلة الخياطة والتطريز الكبيرة، وسرها جداً أن سكوت سمع حديثها مع ماري عن استبدال الستائر في غرفة مليندا... وقرر على الفور ابتياع هذه الآلة على الرغم من ثمنها الباهظ. نظرت إليه بعينين دافئتين لتشكره، فلم يساعدها لسانها على ذلك. أمسكت مليندا بيدها وقالت لها بلهفة:
ـ افعلي مثلي، يا تيريزا. أنا أقبل أبي دائماً عندما أريد توجيه الشكر إليه. هيا!
لم تتحرك تيريزا من مكانها، فأضافت مليندا قائلة بمرح ظاهر:
ـ أكل الهر لسانها، يا أبي.
ـ يبدو أنك على حق، يا حبيبتي. سأحاول الآن أن أفعل شيئاً، فما رأيك؟
هزت الطفلة رأسها بحماس شديد، فاقترب سكوت من تيريزا وعانقها. ووجدت تيريزا نفسها غير قادرة على الابتعاد عنه... فيما كان قلبها يخفق بقوة لم تشعر بها من قبل. أبعد سكوت وجهه عنها، وأنزل يديه اللتين كانتا تحضنان وجنتيها قائلاً:
ـ اعذريني، أيتها الحبيبة، ولكن الدعوة كانت أقوى من المقاومة هل ضايقتك كثيراً؟
ـ لم تضايقني أبداً، يا سيد ميلفورد.
ـ إذن، لنكن أصدقاء من الآن فصاعداً. هذا كتيب يضم كافة

التعليمات الضرورية لهذه الآلة المعقدة. ادرسيه جيداً وحاولي تطبيقه غداً. واذا كنت بحاجة لأي امدادات كهربائية، فأنا على أتم الاستعداد لتجهيز كافة الامور المطلوبة.

ـ انت طيب جداً معنا، يا سكوت. اوه، كم انا متلهفة لتجريبها واستخدامها. هيا الى الحمام والعشاء، يا مليندا، كي تعودي الى التحدث مع هذا الوالد الكريم قبل ذهابك الى النوم.

جلس سكوت وتيريزا لفترة طويلة مع مليندا، قبل ان يهدأ اعصابها وتنام. تناولا طعامهما بعد ذلك بقليل، ثم خرجا الى الشرفة لشرب القهوة. اكتشفت تيريزا اثناء حديثهما ان سكوت متحدث لبق وذو اطلاع واسع في مجالات متعددة. ادهشها عندما اخبرها بانه ولد في استراليا، وانتقل مع والده الى هذه المنطقة عندما كان في الثانية عشرة من عمره. عمل الأب جاهداً لانشاء هذه المزرعة الكبيرة، فيما كان الابن يتابع دراسته الجامعية حتى تخرجه مهندساً زراعياً. توفي والده بنوبة قلبية، فشعر بصدمة قوية لفداحة الخسارة. حضر الى المزرعة التي ورثها عن ابيه، وقرر متابعة المسيرة.

لم يذكر لها شيئاً عن رحلته الى اميركا لحضور مؤتمر زراعي، او عن مقابلته ايلاين هناك وزواجه منها. ارادت تيريزا معرفة التفاصيل المتعلقة بزواجه وطلاقه، ولكنها شعرت بان الموضوع لا يزال حساساً جداً بالنسبة الى هذا الرجل الراجحي.

ـ حان الآن موعد ذهابي الى النوم، لأني مرهق ومتعب للغاية. ثمة علبة اخرى تضم بعض الملبوسات الداخلية لمليندا. شكراً لاعطائي القياسات المطلوبة، لأني كنت سأجد صعوبة كبيرة في ايجاد ما تحتاج اليه.

تأمل تيريزا عندما قامت من مقعدها، وسألها بصوت هادئ:

ـ هل استقرت بك الأمور هنا، يا تيريزا؟ واهم من ذلك... هل انت مرتاحة الى مليندا ومعها؟

ـ ليست لدي اي شكاوى في هذا المجال، يا سيدي. مليندا طفلة

طيبة جداً وتتجاوب بسرعة مع مشاعر العطف والحنان. انها ذكية وتستوعب التعليمات والمعلومات بدون تردد او امتعاض، ولكنها تستخدم احياناً كلمات نابية لا شك في انها سمعتها من بعض الكبار الذين تحبهم وتحترمهم قدوة لها.

تأمل وجهها المشرق لحظة، ثم بادلها ابتسامتها قائلاً:

ـ حسناً، يا سيدتي، سأعطي لسانك دروساً خاصة في التهذيب واللباقة. لست بحاجة الا انظر الينا بهاتين العينين الغاضبتين الحزينتين، لكي تجعل منا جميعاً في المستقبل القريب ناساً في منتهى اللطافة والكياسة.

امسك بكتفيها مداعباً، ومضى الى القول:

ـ لا تنسي انك تحت سيطرتي، يا امرأة. الرجل الذي يتقمص شخصيتين متناقضتين تماماً هو ابن عمي. يمكنني ان اكون دمية صغيرة تلوحينها بقدمك، ولكنني قادر ايضاً على التصرف معك كمصاص دماء اشرب كل نقطة من هذا السائل الاحمر الذي يغذي قلبك!

تسمرت تيريزا امامه خائفة مذعورة، ليس من كلماته المرعبة هذه ولكن بسبب قربه منها الى تلك الدرجة. انزل يديه عن كتفيها، ثم داعب خديها وشعرها قائلاً:

ـ ربما، انك تخافين بسرعة. سأحاول الحد من هذه التصرفات... الوحشية، والا فان عصفورتي الذهبية سوف تطير من هذا العش.

ـ انا لست خائفة، يا سكوت مولوارد. كل ما في الأمر، انني فوجئت بهذا الانفصام الغريب في شخصية الرجل الذي اعمل معه واعيش في بيته!

انهمكت تيريزا طوال اليوم التالي بمختلف انواع الأعمال المنزلية، وكانت مرتاحة نفسياً لأنها لم تره في الصباح وتسمع رد فعله على جمالها القاضية له. زارتها جورجيا، فبادرت الى الاستعانة بها لاعداد الستائر

الجديدة.

لم يأت اثناء العشاء، فأحست مرة اخرى بعذاب الترقب والانتظار. حاولت تحليل مشاعرها وتحديدها تجاه رب عملها، ولكنها لم تتمكن من الوصول الى نتيجة معينة. ففي بعض الأوقات تكرهه بسبب غطرسته وتعاليه، وفي اوقات اخرى تذوب امامه كقطعة زبدة! يضايقها حيناً وكأنها فأرة صغيرة، وينظر اليها احياناً كأنها الامرأة الوحيدة في قلبه وحياته! كيف يمكنها الغوص الى اعماق نفسه، لمعرفة حقيقة مشاعره والتصرف معه وفقاً لأمزجته المختلفة والمتعددة؟ ولكن، أليس من الأفضل لها تناسي هذه الأمور كلها والتمتع بعملها مع مليندا؟ انها تحب مليندا، والصغيرة تبادلها الحب وتتصرف معها كابنة وجدت امها الضائعة. كذلك، فهي تحب طبيعة هذه المنطقة وطيبة سكانها. فلماذا لا تنسى الآن هذا الرجل، الذي تنبع تصرفاته المزاجية المزعجة من المرارة والأوهام الناتجة عن تقلبات زوجته السابقة؟ رفعت رأسها نحو جورجيا ومليندا، وقالت لهما ان ظهرها يؤلمها كثيراً. ثم اضافت:

- هيا، ايتها الصبيتان، لنتنزه قليلاً ونملأ صدورنا بالهواء النقي المنعش.

سارت الفتيات الثلاث بعض خطوات بمحاذاة الجانب الشمالي للبيت، قبل ان تتوقف جورجيا وتقول باستغراب واضح:

- ماذا يفعل سكوت في بركة السباحة؟ انها جافة ومهملة منذ مغادرة ايلا... منذ زمن طويل.

وقفت الفتيات على حافة البركة، فترك سكوت العمال الثلاثة الذين يساعدونه وقال:

- مرحباً، ايتها الفتيات النشيطات. ما رأيكن بتقديم يد العون للرجال التعبين؟

- اشتغلنا طوال النهار، يا ابي. تيريزا وجورجيا انهتا جميع الستائر... بالاضافة الى ثياب ابنتي وسريرها.

نظرت جورجيا الى تيريزا، وقالت لها:

- ربما، تيريزا، يبدو انك احدثت تغييرات جذرية هنا... وبسرعة مذهلة. ومن الواضح ايضاً ان السيد سكوت بدأ يفتح عينيه على احتياجات النساء. اوه! هل يمكنني الحضور للسباحة هنا عندما تصبح البركة جاهزة؟ هل اعجبت بعملك، يا سكوت، تلك الستائر والأغطية الجميلة؟ انها فعلاً رائعة!

- نعم، يمكنك الحضور للسباحة. ونعم ايضاً، اعرف تماماً ما تحتاج اليه النساء... واختار كل شيء بنفسي. هذه هي المرة الثانية خلال اقل من يوم واحد يستغرب فيها انسان حسن ذوقي. انا، يا آنسات، رجل كثير الاطلاع على رغبات الحسناوات بسبب خبرتي الطويلة واتصالاتي المتعددة مع الجميلات. اضافة الى ذلك...

- ماذا تعني بكلامك هذا، يا ابي؟

ردت جورجيا على الفور:

- هذا يعني ان الوالد الحبيب رأى النور.

- ماذا تعنين بهذه الملاحظة الخبيثة، يا آنسة ماسترز؟

سارعت تيريزا الى انقاذ صديقتها، فقالت له:

- تعني ببساطة ان البركة ستكون رائعة، شأنها في ذلك شأن... الستائر الرائعة و... الأغطية الجميلة. يجب ان نعود الآن، والا فالعمل هنا لن ينتهي قبل حلول الشتاء. هيا، ايتها الصبيتان.

عملت تيريزا طوال اليوم التالي على ترتيب البيت واعادة تنظيمه. وفي المساء، اعتنت بأمور مليندا وأدخلتها الى النوم. وبعد تناول العشاء مع سكوت، توجها الى القاعة الكبيرة حيث جلس هو وراء طاولته لاعداد بعض التقارير الهامة بينما اختارت هي مقعداً مواجهاً له وحاولت قراءة احد الكتب التاريخية. لم تتمكن من التركيز كثيراً على كتابها، لأن نظراتها كانت تتحول اليه معظم الوقت.

ورفع رأسه فجأة، فلاحظ انها تتأمله. احمر وجهها خجلاً وارتباكاً، فقال لها بسرور واضح:

- تبدين مرتاحة جداً، يا تيريزا، وكأنك . . . كأنك في بيتك.
- يعجبني . . . السكون والهدوء، وأصوات عصافير الليل.
- يغني الذكر للأنثى التي يريد تحضيرها قليلاً في البداية. وعندما تحضر إليه، يصبح صوته أجمل وأقوى . . . ثم تأخذ الطبيعة مجراها.
- الطبيعة قاسية . . . ولكنها جميلة وساحرة. ويبدو أن الإنسان لا يشعر بالطبيعة كثيراً عندما يكون في المدن.
- أوه، طبعاً! فجمال الطبيعة هنا لا يشوهه إغراء الجشع والطمع، والاندفاع وراء المكاسب المادية. هل تتوقين أحياناً، يا تيريزا، إلى أضواء المدينة وحياتها الصاخبة؟
ضحكت تيريزا من صميم قلبها، وقالت:
- الجشع والطمع و . . . لا، يا سكوت، لم أشعر حتى الآن بأي رغبة من هذا القبيل. لا تقلق أبداً، فمشاعري ليست بحاجة إلى مثل هذه الأمور لتتهيج وترتاح. لا أقلق إلا عندما أزاول التسلق للجدران، وهذا ما سأفعله غداً . . . ولكن، لتغيير ألوانها.
- لن تفعلي ذلك أبداً. فالشخص الذي أرسلته اليوم يعرف عمله تماماً وليس بحاجة إلا للمراقبة. سأفحص الجدران كل مساء بعدستي المكبرة، كالتحري الشهير شارلوك هولمز لأتأكد من عدم وجود آثار لقدميك. وإذا وجدت مثل هذه الآثار، وخاصة على السقف، فسوف أعرف فوراً أن الوقت قد حان لإعادتك إلى مناطق التمدن والحضارة.
أغلقت تيريزا كتابها بعنف، ثم وقفت وقالت له بحدة ظاهرة:
- لماذا تتحول تصرفاتك الطبيعية عادة إلى مكر ودهاء كل ليلة؟ تصبح على خير، يا سيدي.
- مهلاً، يا تيريزا، أرجوك.
توقفت تيريزا قرب الباب واستدارت نحوه، فمضى إلى القول:
- سأذهب إلى العاصمة في نهاية هذا الشهر، للإشراف على عمليات بيع التبغ والأبقار. أريد أن أصحبك وميلندا معي.

ستمضي أربعة أيام هناك، يمكنكما خلالها التفرج على المدينة وحضور مسرحية أو بعض الأفلام السينمائية . . . عن رحلة القمر مثلاً.
- أوه، سكوت، لا داع للقلق. ستسير الأمور هنا بصورة طبيعية جداً، وأنت لست بحاجة أيضاً لأي أعباء إضافية و . . .
- أريدك أن تحضري معي، يا تيريزا. لدي أصدقاء طيبون جداً هناك، وأنا عادة أترك ميلندا وكليو في عهدتهم كي أتفرغ لأعمالي. يمكنك إحضار كليو أيضاً هذه المرة، إذا كنت خائفة مني . . . أو مما سيقوله الآخرون عنك. سيصر علينا جيمي وفاليري كثيراً للإقامة معهما، وهذا ما أفعله أنا في معظم رحلاتي. سوف يعجبانك كثيراً، لأنهما شخصان طيبان للغاية.
- كما تريد، يا سكوت. سيسرني جداً القيام بهذه الرحلة. شكراً.
- شكراً لك أنت، يا آنستي العزيزة. تصبحين على خير. أتمنى لك أحلاماً سعيدة.
اتصلت بها ماري بعد ظهر اليوم التالي، لإبلاغها بأنها ستحضر وزوجها في المساء لبحث بعض الأمور المتعلقة بالأبقار. ثم ضحكت وقالت:
- سمعت أنك منهمكة جداً في دهن الغرف وإعادة تنظيمها. هل وصلت إلى القاعة الكبيرة؟
- أوه، لا، لا أعرف كيف سأطلب أي شيء إضافي من سكوت، بعد تلك القائمة الضخمة التي أعددتها له قبل بضعة أيام. لم يعترض أو يحتج، ولكني أريد منحه بعض الوقت قبل مواجهته بطلبات جديدة. هل . . .
توقفت عن متابعة كلامها، عندما شاهدت كليو تقترب منها بسرعة وهي مذعورة وبادية الانزعاج والقلق.
- ما بك، يا كليو؟ ماذا في الأمر؟
لم تتمكن المرأة المسنة السمينة إلا من ترداد كلمة واحدة . . .

الصغيرة؟ تركت تيريزا سماعة الهاتف، وركضت بأقصى سرعتها الى الخارج. وافاها دانيال واشار بالسكين الطويلة التي يحملها، الى المكان الذي تركت ميلندا فيه ترد على مكالمة ماري. تجمد الدم في عروقها عندما شاهدت حية كبيرة بشعة تزحف باتجاه الطفلة، وتستعد للانقضاض على ظهرها. اخذت السكين بسرعة من يد الخادم المذهول، وتوجهت نحوها بحذر شديد... تمنت نفسها بالا ترفع ميلندا نظرها عن كتابها الجديد او تتحرك في مكانها. وما ان احست بها الحية الشريرة، حتى التفت عليها تيريزا واغمدت السكين في عنقها بعنف شديد جعل النصل يغرز في الارض.

كان سكوت آتياً في تلك اللحظة الى البيت، فاوقف سيارته وقفز الى جانبها صارخاً بفرح واعجاب بالغين:

ـ يا لك من فتاة رائعة!

قفزت ميلندا من مكانها وقد اصيبت بهلع شديد. وفيما استفاق دانيال من ذهوله وبدأ يسحق رأس الافعى بحجر كبير، وضع سكوت احدى يديه على كتف تيريزا ويده الاخرى ليسحب السكين من مكانها. الا ان تيريزا ظلت ممسكة بقبضتها، غير قادرة على الافلات. طوق خصرها بذراعه وبدأ يفرك اصابعها البيضاء المتشنجة، وهو يقول لها برقة:

ـ اتركيها الآن، ايتها الحبيبة. اتركي السكين، فالحية ماتت وانتهى كل شيء على احسن ما يرام. انك فتاة شجاعة وحكيمة جداً، يا فتاتي الحلوة.

استعادت تيريزا قدرتها على الكلام، ولكن بصعوبة وعصبية.

ـ ميلندا... كانت ستنقض عليها... كانت... رباه رباه!

ـ تمهلي عنك، يا عزيزتي، وانسي الحادث قليلاً امام اعصابك ترتاح بعض الشيء. تصرفت بكل شجاعة وحكمة، ايتها العزيزة. لم اشاهد في حياتي شخصاً يتحرك بمثل تلك السرعة واللباقة. توقفي عن الارتعاش، ايتها الحبيبة. دانيال، احضر كوباً من الماء وثلاث

قطع من السكر. هيا، هيا بسرعة!

احست تيريزا فجأة بأن جسمها لم يعد يرتعش خوفاً وذعراً، ولكن بسبب التصاقه به. سيطر على مشاعرها رعب آخر... لم يكن خالياً تماماً من السعادة. وارادت البقاء هكذا بقية حياتها. جسمه القوي الدافئ، يداه، ذراعاه، كلمات الحب الرقيقة الساحرة... اوه، يا لسعادتها!

ـ اجلسي! يا تيريزا، واشربي هذا الكوب من الماء.

تيريزا فقط! نعم، هذا هو اسمها وهكذا سيعود الى مناداتها! انها مجرد شابة قتلت حية كانت تشكل خطراً على حياة ابنته. يا لحيرتها وارتباكها، وبئاً لخطئها المريع! انها تحب مديرها... سكوت ميتلاند... حباً جنونياً لا امل منه، لأن الرجل لا يزال يحب زوجته السابقة! فتحت عينيها، فتحولت نظراتها على الفور الى عينيه. انها تريده قلباً وقالباً، جسماً وروحاً... هكذا صرخ بها قلبها وشعورها! لم ترفع بصرها عنه، حتى عندما قال لها:

ـ عظيم، تبدين الآن افضل بكثير من السابق. عاد الاحمرار قليلاً الى وجنتيك. اشعر برغبة لعناقك يا تيريزا، لأني مدين لك الى ابعد حد.

مسكينة انت، يا تيريزا! فقط شكر وامتنان، لا غير. تذكري ذلك، ايتها الغبية! ثم حمل ابنته بين ذراعيه وساعدها على حل عقدة لسانها وتناسي الحادثة المشؤومة. نظرت تيريزا مرة اخرى الى عينيه، وتألمت بعذاب وألم. آه، لو كان بامكانها الاحتفاظ به على هذا الشكل وتشويش عقله...؟

امضت تيريزا بقية النهار وفترة السهرة تعلل انشغالها الجديد، الذي يتسم بقدر كبير من الخطورة. تفرحها نظرة ناعمة، وتؤلمها نظرة اخرى ساخرة. تشعر بالسعادة عندما يقف امامها بقامته المشوقة وجاذبيته المدهشة، وتحس بالعذاب المرير كلما قال لها كلمة تنم عن غطرسته المعهودة.

لعبا الورق مع دان وماري، وكان زوج صديقتها شريكها في اللعبة. لم تكن قادرة على التركيز او اللعب بالسرعة المطلوبة. قال لها سكوت في احدى المرات:

ـ انت تركزين كثيراً، ايتها العزيزة، وكأنك تريدين قراءة المستقبل. انتبهي، يا حبيبتي، والا فسوف تخسرين بكل سهولة.

ضايقتها كثيرا لهجة الغزل الناعمة في كلماته، فردت عليه بشيء من الحدة:

ـ اذا حدث ذلك، فمن حق شريكي فقط ان يتذمر. في اي حال، استعد للمواجهة القاسية وتقبل الهزيمة بصدر رحب.

وضعت كافة اوراقها على الطاولة، فيما كان سكوت وماري لا يزالان محتفظين بجميع اوراقهما. عبس سكوت، وقال بلهجة تجمع بين الجدية والمزاح:

ـ اوه، يا لها من ساحرة! تجيد الحياكة والتطريز، وتدهن الجدران، وتقتل الافاعي، والغش في الورق! لا شك في ان خطوتها التالية ستكون قلب العالم رأساً على عقب، وهذا امر واقع لا محالة!

ضحك الجميع، الا تيريزا... التي قالت لنفسها ان عالمها هي دون سواها هو الذي قلب رأساً على عقب. آه منك، يا سكوت ميلوارد، ومن حبي الجارف لك!

وقفت معه بعد قليل في الخارج لوداع دان وماري. وضع ذراعه برقة على كتفيها، فتوترت اعصابها فجأة وارتعش جسمها. تراجع سكوت الى الوراء، وقال لها ساخراً:

ـ اعذريني، يا سيدتي. هل تريدين العودة الى القاعة، حيث تجلسين في زاويتك وانا في زاويتي؟ ليست لدي اي نوايا عدوانية، فلا تتذمري او تحاولي مهاجمتي. اخبريني، هل كنت على وشك القيام بذلك؟

ـ طبعاً لا... اعتقد اني متعبة قليلاً.

ـ امضيت يوماً قاسياً ومرهقاً، يا تيريزا. اذهبي الآن الى غرفتك،

كي احضر لك كوباً من الحليب الساخن وحبتين مهدئتين للاعصاب. لا اقبل اي مجادلة او اعتراض، ولن استغرق سوى عشر دقائق فقط لتضعي نفسك في الفراش.

تطلعت حولها، وكأنها تنتظر بعض الارشادات من ظلمة الليل او عالم الغيب. ولكن التعليمات والنصائح لم ترد، فتوجهت فوراً الى غرفتها. دق سكوت الباب بعد اقل من ربع ساعة، واعطاها الكوب والحبتين. لم يتحدث معها خوفاً من ايقاظ ابنته، التي تنام في الجهة المقابلة. تمنى لها ليلة مريحة هادئة، ثم تأملها قليلاً واغلق الباب وراءه بهدوء بالغ.

امضت تيريزا الايام الثلاثة التالية، وكأنها في قفير نحل اثناء فصل الربيع. انها الفترة التي ينطلق فيها الرجال على صهوات خيولهم، لجمع العجول الصغيرة الضائعة في تلك المساحات الشاسعة. لم تكن وحدها، بل حضرت لمساعدتها كل من ماري وليلي وجورجيا وجارة اخرى، هي السيدة أنيتا براون.

لم يكن لديها وقت كاف للتفكير بالحب الذي تفجر فجأة في داخلها، ولم تسنح لذلك الرجل فرصة لدغدغة مشاعرها او اثارة اعصابها. كان الجميع منهمكين في اعمالهم المرهقة، وتيريزا مرتاحة جداً لأنها غير مضطرة لمواجهته على انفراد.

جلست السيدات لتناول طعامهن بعد عودة الرجال الى اعمالهم، وكان طفل ليلي محط انظار الجميع... وخاصة مليندا التي اصبح لديها طفلاً تلاعبه. وبمجرد انتهاء الغداء المتأخر، ذهبت ليلي وماري مع تيريزا الى غرفة مليندا لمساعدتها في تعليق الستائر وترتيب الغرفة بصورة نهائية، فيما بقيت جورجيا وانيتا لرعاية الاطفال الثلاثة. تأملت ليلي الغرفة باعجاب بالغ، وقالت:

ـ لا يمكنني تصديق هذا الفرق الهائل والتحول المذهل! متى ستنتهي غرفتك، يا تيريزا؟

ـ يشتغل احد عمال سكوت حالياً على اعداد الجدران للطلاء.

ـ لن يكون يوم غد مرهقاً الى هذه الدرجة. ستقوم الينا بدور المربية والحاضنة، فيما نساعدك نحن اثناء غياب الرجال على انهاء العمل في غرفتك.

ـ عظيم، شكراً. تعجبني كثيراً روح التعاون السائدة هنا. هل . . . هل سيبقى الجميع هنا هذه الليلة؟

ضحكت ماري، وقالت لصديقتها المرتبكة:

ـ لا، ايتها العزيزة، فكلنا نقود سيارات وعندنا بيوت.

ذهبت الشابات الثلاث الى القاعة، فتطلعت ليلى حولها ثم ركزت نظراتها على تيريزا . . . وضحكت. ولما شاركتها ماري الضحك، قالت ممازحة:

ـ اوه، يا للمكر والدهاء! نعم، يا عزيزتي، فالبيت بحاجة ماسة للمسة نسائية؟

احمر وجه تيريزا خجلاً وحياء، وقالت:

ـ لا، لا يمكنني اجراء تغييرات شاملة في بيت سكوت ميلوارد وكأني . . . كأني املكه!

تأملتها الينا بعناية، وقالت مرددة كلماتها الاخيرة:

ـ كأنك تملكينه . . . كأنك تملكينه! لديك نقطة هامة جداً، يا آنسة. ربما كان . . . قاطعتها تيريزا باضطراب شديد:

ـ ماذا تعنين، يا الينا؟

ـ انه رجل وسيم . . . وعازب . . . ولم يتمكن احد غيرك قبلاً من احداث مثل هذه التغييرات الجذرية في بيته. انت تحبين ميلودا، وهي تحبك. انت ايضاً شابة جذابة جداً وذكية ونشيطة. واي رجل يفكر بطريقة منطقية سليمة . . .

توقفت الينا عن الكلام فجأة، عندما شاهدت نظرات الغضب تشع في عيني ماري روبرك. ولكن الصديقة التي تعرفها منذ سنوات، لاحظت الحب والعذاب في عينيها فقالت بدهشة وذهول:

ـ رباه، ماذا ارى! انها تحبه، ولكن قلبه لا يزال مدفوناً تحت

الثلوج لوفاء حبه لزوجته السابقة، ما بنا الآن، وماذا نفعل؟ ستعرف تيريزا كيف ستتصرف في هذا البيت بدون الحاجة الى الزواج من ذلك الرجل المسكين! هيا، ايتها الثرثارات. فلدينا اعمال كثيرة يجب الانتهاء منها قبل عودة الرجال! تيريزا، احضري لي من فضلك زجاجة الحليب لجانيس.

هل يمكن لأحد غير صديقتها قراءة افكارها ومشاعرها بمثل هذه السهولة؟ دان مثلاً، او . . . سكوت نفسه؟ اوه، لا، لا يمكن! انها عرفت بحبها له، فسوف تترك عملها معه . . . بأسرع وقت ممكن. هل هي قادرة على ذلك؟ وكيف ستحنث بالعهد الذي قطعت للبنات بعدم الابتعاد عنها ابداً؟ هل يمكنها البقاء معه، وهي تعلم بالتأكيد انه لن يبادلها ابداً هذا الحب، وان قلبه لا يزال مع ايلاين؟

قارنت بين مشاعرها تجاه ديريك وحبها الحالي، فبدت تلك العواطف وكأنها علاقة اطفال او صداقة مراهقين! سكوت ميلوارد هو حبها الحقيقي، سعادتها، حياتها . . . عذابها، آلامها . . . هو كل شيء!

عاد الجميع الى بيوتهم في المساء، فتناولت وجبة طعام خفيفة واخذت حماماً ساخناً . . . ثم نامت بسرعة مذهلة لم تكن تحلم بها.

٧ - الخطوبة الصورية

لاحظ سكوت ذهول تيريزا، وكيفية امساكها برسالة وصلتها قبل قليل. سألها باهتمام:

- هل من مشكلة، يا تيريزا؟ هل وردتك اخبار سيئة؟

لم تجبه وظلت تحدق بأسى خارج النافذة، فقال لها بلهجة آمرة:

- اخبريني ماذا في الأمر، يا فتاة.

تأملت تيريزا الرسالة التي تحملها في يدها، وقالت بألم واضح:

- رسالة من . . . من دريك.

- دريك . . . خطيبك؟

- خطيبي السابق! انه في العاصمة ويريد الحضور الى هنا، ليعتذر مني عن سوء تصرفه معي. يسألني في هذه الرسالة عما اذا كان بامكان عائلة روزك استضافته لمدة يوم او يومين.

نظر اليها سكوت بحدة وغضب بالغين، ولكنه لم يقل شيئاً.

- يبدو ان سلفيا وجهت له اخيراً الضربة القاضية، وقرر الرجل الكبير الحضور لتقديم الاعتذار . . . والانطلاق من حيث توقف. هكذا!

تأملها سكوت لحظات طويلة، ثم قال لها بسخرية لاذعة:

- هذا هو اذن سبب اصفرار وجهك! تتبرك على ما يبدو فكرة رؤيته ثانية و . . . قاطعته صارخة بصوت معذب:

- لا! لم اتضايق كثيراً من جسارته الوقحة، ولكنني اشعر باشمئزاز شديد بسبب اقتناعه الثابت بانني سارمي نفسي بين ذراعيه بدون تردد او ممانعة. سيطلب مني ان اغفر كل شيء . . . لأنه سيموت اذا رفضت ذلك. يا للغرور الحقير! رسالة واعتذار، ويظن ان كل شيء سيعود الى ما كان عليه!

- وهل ستغفرين له؟

- اغفر؟ لقد نسيته تماماً، لانني الآن . . .

توقفت فجأة، فسألها بهدوء:

- لانك الآن، ماذا؟

- اعني . . . اعني انه لم يعد يعني ابداً. واعتقد جازمة الآن انني لم احبه حقاً. جرحت كرامتي، واستهجنت عدم ثقته بي . . . هذا كل ما في الأمر. لا اريد مقابلته ثانية.

- ولماذا هذا الرعب اذن؟ اكتبي له واخبريه بذلك.

- لا، فهو من اولئك الاشخاص الذين لا يعيرون هذه الطريقة اي اهتمام يذكر. انه يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن وجوده اكثر اقناعاً . . . وسحره سلاح ماض يرغم الخصم على الرضوخ والاستسلام بسرعة.

- وهل من الممكن ان يحصل ذلك معك؟

- لا، لا يمكن ذلك اطلاقاً. لن اعود ابداً اليه . . . لأسباب خاصة بي. فبالاضافة الى عدم اخلاصه، لم اعد اشعر بأي شيء . . . نحوه.

ـ لست مطلعاً تماماً على شؤونك الخاصة، ولكن لماذا لا تطلبين من طبيبك العاشق الحضور الى هنا لاثبات ذلك... لنفسك، على الأقل!

ـ سيحضر على الأرجح، بغض النظر عما سأكتب له في رسالتي.

شعرت في تلك اللحظة انها بحاجة للاعتماد على حكمته ولوثوق رأيه، فسألته بارتباك واضح:

ـ ماذا سأفعل، يا سكوت، كيف سأتصرف، اذا رفض عريك جوابي السلبي؟

اخرج سكوت رسالة من جيبه، وقال لها بصوت ناعم حنون:

ـ اريد التقدم اليك بعرض معين، يا تيريزا.

ـ نعم؟

ـ هذه رسالة من ليلاين. لا، لا تقولي شيئاً واسمعي ما سأقوله. ستحضر ليلاين لأخذ بعض الأمور الخاصة، التي لاحظت فجأة انها بحاجة اليها. انها الآن في العاصمة، وثمة احتمال كبير في انها تريد الحضور...

حدقت به تيريزا مصعوقة، لتمضي الى القول بلهجة حديدية حازمة:

ـ لا اريد عودتها الى هنا... لا يمكنها ذلك. وحتى نتأكد، انت وانا، مما نريد... على كل منا حماية الآخر خلال الفترة المقبلة.

ـ كيف؟ كيف سنفعل ذلك؟

ـ نعلن خطوبتنا.

تأملته تيريزا بازدراء وانقباض شديدين، وقالت:

ـ انت تمزح!

ـ لم اكن في حياتي اكثر جدية مما انا عليه الآن.

اين الكبرياء وعزة النفس! رفعت رأسها بعنفوان وتحد قائلة:

ـ لا يمكنني ابداً قبول مثل... مثل هذه التدابير الحالية من العاطفة.

ـ هذه هي تدابير احترازية ووقائية لا غير، ايتها الشابة العزيزة.

ـ ولكنني... ؟ الحب هو جزء من الخطوبة...

قاطعها بسخريته المعتادة، قائلاً:

ـ الحب كما وصفته لك سابقاً، يا عزيزتي، ليس الا مجموعة من الفقاقيع التي تظهر فوق سطح الماء الحار... ثم تتبخر في الهواء. انت ادرى بهذا الموضوع من غيرك، والا... فاين حبك للملك الطبيب الوسيم الساحر؟

ـ لم يكن حباً حقيقياً.

ـ ما هو، اذاً، الحب الحقيقي؟ صفيه لي، ايتها العزيزة.

الحب الحقيقي هو ما اشعر به نحوك، ايها الحبيب المشكك. هذا هو الحب الفعلي، ولكن كيف ستشرح له ذلك! كيف...

ـ الحب القوي الجبار! الحب الدائم! هل تشاهدين الكلمة، يا عزيزتي، محفورة على هذا الجبين او ذاك؟ هل تتصورين...

ـ سكوت! لا تدع ما حصل معك يحولك الى شخص لا يثق باحد او يرفض تصديق احد. الحب الحقيقي موجود.

ـ حسناً، سأصدق كلامك. والآن، يا آنسة ستانتون، هل تقبلين مشكورة ان تصبحي خطيبتي؟ لأ كد لك ان اقتراحي هذا يهدف الى الحماية المتبادلة فقط. لن يحدث اي استغلال من اي جانب، كما يمكننا فسخ الخطوبة عندما يشعر اي منا بأنه لم يعد بحاجة للحماية.

رفعت رأسها بشموخ، وقالت له بكثير من العنفوان والتحدي:

ـ اشعر بالتأكيد انك لن تحاول استغلال الوضع المقترح. كما انني لست بحاجة ماسة لحمايتك. على صعيد آخر، لا بد لي من الاعتراف بان خطوبتي الى اي رجل هي الوسيلة الاكثر نجاحاً لاقناع ديريك نهائياً بالابتعاد عني.

ثم ابتسمت بخبث، واضافت قائلة:

ـ اذا كنت ضعيفاً الى الدرجة التي تحتاج معها الى مساعدتي كي تتمكن من التصرف، فسوف اقبل اقتراحك بكل سرور!

نظر اليها بعينين تفضحان شروداً، ثم احتوى غضبه الحاد وقال لها بهدوء:

ـ شكراً، ايتها العزيزة. قد ابدو رجلاً قوياً وقاسياً، ولكنني... بالنسبة لعواطفي ومشاعري... ضعيف للغاية.

اخرج علبة سكائره، فتبين له انها شبه فارغة. ذهب لاحضار علبة اخرى، فيما تصارعت الافكار في رأس تيريزا وقلبها. ماذا اخبر سكوت ابنته عن غياب امها، وكيف سيكون رد فعلها في حال ظهور ايلاين فجأة داخل هذا البيت؟ هل كان سكوت جاداً عندما قال انه لا يريد عودة زوجته السابقة اليه؟ انها جميلة جداً... وام ابنته... وسوف يقبل اعتذارها... ويرحب بها ثانية في منزله... وقلبه. اذا قررت ايلاين البقاء، فستكتشف بسرعة سخافة الخطوبة وعدم جدواها... ما لم يتظاهر سكوت وتيريزا انهما حقاً عاشقان، وعلى اهبة الزواج. ولكن... هل يمكن للرجل تمثيل دوره الجديد باخلاص امام المرأة التي كان يحبها، او... التي لا يزال يحبها؟

عاد سكوت وقدم لها سيكارة، فقبلتها منه شاكرة ثم سألته بهدوء:

ـ وماذا بشأن مليندا؟

ـ وه، مليندا! انها مشكلتي الكبرى! تتذكر والدتها كحلم قديم، وتعرف انها... ذهبت. قبلت هذا الرد حينئذ دونما اي تساؤل او استفسار، ولكنها الآن في عمر اكثر دقة وحساسية لكل... الأم، لا، لن اسمح لها بالمجيء، وازعاج ابنتي عاطفياً ونفسياً! سأتصل بها هاتفياً لاعداد قائمة بالاغراض التي تريدها، ثم ارسلها لها.

تألم قلبها كثيراً لدى رؤيتها تلك النظرات الحزينة في عينيه، وسألته بجدية:

ـ الا ترغب انت في مقابلتها؟

ـ ربما كان من الافضل القيام بمثل هذه الخطوة، ولو على سبيل اللباقة واحترام الذات. سنأخذ اغراضها معنا الى المدينة ونواجهها

بك... بخطيبتي. سيقنعها ذلك بالتأكيد انني لا اريد عودتها... هذا اذا كانت ايلاين تفكر اصلاً في امر العودة.

ـ ومليندا؟

ـ لن ادعها تقترب من ابنتي، لانها فقدت منذ زمن بعيد جداً الحق برؤيتها او مقابلتها.

ـ ولكنها ام الطفلة ايضاً، يا سكوت. قد تكون ارتكبت اخطاء وحماقات جسيمة، ولكن عاطفة الأمومة...

تجهم وجه سكوت وهو يقاطعها قائلاً:

ـ ارجوك التوقف عن هذا الاضطهاد والتعذيب، وخاصة لانك لا تعرفين ظروف اللقاء الأخير الذي تم بيننا. صدقيني، يا تيريزا... لا يمكن لتلك الامرأة ان تكون اماً حقيقية لاي طفل، او زوجة وفية لاي رجل.

وه، كم احبها هذا المسكين... وكم كانت صدمته عنيفة وقاسية! ازعجتها نظراته وهيئته... واربكتها، فسارت نحو النافذة وراحت تحدق النظر بالسماء ونجومها اللامعة. شعرت بعد لحظات وجيزة باقترابه منها، ثم سمعته يقول لها:

ـ هذه مناسبة سعيدة بالنسبة الينا، يا عزيزتي، فلنبتسم ونتمنى الحظ السعيد لبعضنا والنجاح لكل ما يريده قلبانا. انظري الي، يا تيريزا.

استدارت نحوه ببطء شديد، كي تتمكن من اخفاء مشاعر الحب والقلق. ابتسم لها وقال:

ـ اتمنى لنا مستقبلاً زاهراً، ايتها الحبيبة، وخطوبة ناجحة جداً.

ابتسمت له برقة ونعومة، وهزت رأسها ايجاباً. تشجع سكوت وسألها بصوت دافئ:

ـ هل يمكننا تتويج خطوبتنا...

رفعت وجهها نحوه، ثم اغمضت عينيها وقالت:

ـ يمكننا ذلك، بكل تأكيد.

عانقها بنعومة وعاطفة شبه . . . ابوية، ولكنها شعرت بالنار تغلي في عروقها. ارادت ان تضمه الى صدرها بقوة لكنه ابتعد عنها فجأة، وقال بصوت اجش:

ـ اذهبي بسرعة الى غرفتك، طالما انني لا ازال اذكر مبدأ عدم استغلال الخطورة. انت شابة جميلة وجذابة للغاية . . . وانا من لحم ودم. هيا، اذهبي، قبل ان تسيطر علي مشاعر اقوى مني.

احست تيريزا بسعادة فائقة لدى سماعها هذه الكلمات المثيرة، ولم يهمها اذا كانت مشاعره روحية او غير ذلك. انه يعتبرها جميلة وجذابة . . . وهذا يكفيها في الوقت الحاضر. اذا تبين لها فعلاً انه لن يقبل ابداً بعودة ايلاين اليه، فسوف يزداد املها. ولكن . . . ثمة هذه الكلمة التي تقفز دائماً الى الصدارة! ولكن . . . وهذه هي الحقيقة المرة . . . يجب مواجهة ايلاين قبل التأكد من اي شيء على الاطلاق. تنهدت بحسرة واضحة، وغادرت القاعة على عجل.

امرها سكوت صباح السبت بان تعد نفسها للذهاب الى منزل ماري، لتمضية نهاية الاسبوع مع صديقتها. وقال بلهجة شبه جادة:

ـ لا اريدك هنا قبل مساء غد. لديك اجازة تستحقينها، وخاصة لانك تبدين متعبة ومرهقة.

ـ وميليندا؟ من سيعتني بها؟

ـ انا . . . وكليو. لا، لا تقترحي اخذها معك لأنني سأرفض ذلك بكل قوة. انت بحاجة للراحة التامة، بغض النظر عن مدى تعلقك بابنتي. سأوصلك بعد الغداء الى منزل صديقيك العزيزين.

هل ستعلن لهما عن خطوبتنا؟

ـ ولماذا نفعل ذلك؟ سيكتشف دان وماري لعبتنا بسرعة، فلما لا نشرح لهما مسبقاً تفاصيل الاتفاق الذي توصلنا اليه؟

سألها بسخرية قاسية:

ـ وتجعلهما يعرفان انني لا اقبل مواجهة ايلاين الا من وراء

ظهرك؟

ـ الا تفعل انت الشيء ذاته بالنسبة لشريكك؟

علت ثغره ابتسامة خبيثة ماكرة، وهو يقول لها بهدوء ونعومة:

ـ اذا اردنا اقناع دان وماري، فعلينا التظاهر باننا نعشق بعضنا حتى الجنون! سوف تتجنب هذا العذاب المرير خلال نهاية الاسبوع، ثم نعلن لهما فجأة النبأ الصاعق ونتوجه فور ذلك الى العاصمة. سيوفر علينا هذا الاسلوب الكثير امورا عدة، ابرزها الاسئلة المحرجة وحفلات الشاي!

انتقلت اليها عدوى الابتسام والضحك، وقالت:

ـ اوه، انني اتوقع الكثير من المضاعفات كنتيجة لهذا التحالف المصطنع!

ـ وهل هو مصطنع الى هذه الدرجة، يا ترى؟ علاقتنا طيبة الى درجة معقولة، و . . . ! حسناً، سأتوقف عند هذا الحد. ولكن، هل من الضروري ان يكون التحالف بيننا مصطنعاً؟ أليس بامكاننا ان نعيش بسعادة وهناء؟ ميليندا تحبك، ووجودك هنا يفرحني ويسرني للغاية . . .

قاطعته بلهجة حادة، وقد نسيت تماماً تعهدها لنفسها بانها ستستميله اليها عن طريق الصداقة.

قالت له:

ـ اوه، هكذا اذاً يا هذه الترتيبات المناسبة! ولكنني، يا سكوت ميلوارد، لا اؤمن بالتدابير العرجاء. سنبقى مخطوبين طالما ان هذا الامر ضروري ومناسب. وبعد ذلك . . .

لم تتمكن من انهاء جملتها والتحدث عن الانفصال والابتعاد، فقال لها:

ـ وماذا بعد ذلك، يا تيريزا ستتركين؟ هل تعرفين ان الغضب يزيدك جمالاً وجاذبية؟ هل تحبين الورود الحمراء؟

ـ الورود . . . الحمراء؟ نعم . . . ولكن، لماذا تسألني عنها؟ هل

تحاول تغيير الوضع؟

ـ لا، بالطبع لا. تركت الفارة بين اهلها. . واحرار وحتيك.

ـ اوه، سكوت!

ركضت الى الخارج، وهي تقول لنفسها انها فتاة غبية للغاية. يعاملها كجارية. . . يقتلها متى يشاء ثم يطردها . . . ليستقبل زوجته! يصفق لها بيديه عندما يريدها، ويرمي لها العظام. . . كأنها كلب جائع! ولكنها تحبه، تريده، وترضى بأي شيء يحسره ويسعده. . . حتى لو كان ذلك على حساب قلبها!

اوصلها سكوت بعد الظهر الى منزل دان وماري، ثم تابع طريقه مع ابنته نحو القرية. امضت الفترة الباقية من النهار وقسماً كبيراً من السهرة في تبادل الاحاديث الودية والعادية مع صديقتها وعائلتها الصغيرة. وصباح الأحد، ابلغت تيريزا صديقتها انها استلمت رسالة من ديريك يطالبها فيها بالموافقة على مقابلته. وقالت ان الامر الوحيد الذي يقلقها هو احتمال اصراره على الحضور، وفرض نفسه عليها لاستضافته يوماً او يومين. قال لها دان:

ـ هناك فندق صغير لا بأس به ابداً في القرية، ولن اتردد قط في ارشاده اليه.

تدخلت زوجته على الفور، قائلة:

ـ لا يمكننا التصرف على هذا الشكل، يا دان. انه لا يعجبني ابداً. ولكنه رجل سيصاب بخيبة امل رهيبة، وعليه فلا بأس اطلاقاً من استضافته ليلة واحدة.

ـ شكراً، يا ماري. كتبت له بصراحة ووضوح انني لا ارغب ابداً في مقابلته او حتى في رؤيته، وابلغته بان حضوره الى هنا ليس ضرورياً البتة. واذا قرر تجاهل رسالتي كلياً، فاني اعتقد انه جازمة له لن يأتي.

ثم وقفت استعداداً للخروج، واضافت قائلة بلهجة مازحة:

ـ والآن، ايها الصديقان العزيزان، هل تسمحان لي بالنزهة قليلاً؟

يا للروعة الطبيعة وجمالها! يا لصراحة البراري! يا لحبيبها السجان، الذي يلف حول عنقها سلاسل غير مرئية! اغمضت عينيها لتتخيل نفسها معه، وغرزت اصابعها في التربة الغنية وبين الازهار البرية الجميلة لتزداد التصاقاً بالأرض. الطبيعة الخلابة، الهواء المنعش، زقزقة العصافير، والهدوء الساحر. . . تضافرت كلها وحثتها على الاستسلام للنوم. . . والأحلام.

اقترب منها سكوت مبلولاً بخفة ورشاقة، فلم تشعر بوصوله. جلس امامها وراح يتأمل باعجاب واضح وجهها الجميل، والسكينة التي تنم عنها ملامحها وابتسامتها اللطيفة الناعمة. وفجأة تحولت احلام السعادة والبهجة الى كابوس ذعر ورعب. حلمت بانه ربطها الى جذع شجرة ظهر احد الايام الحارة، وتركها وحيدة في مواجهة عدد من الثيران الهائجة. صرخت باعلى صوتها وفتحت عينيها الدامعتين، فوجدته امامها. قالت له بلهجة شديدة، وهي لا تزال واقعة تحت تأثير الحلم المرعب:

ـ اوه، سكوت، كم انا سعيدة لأنك لم تتركني!

وضع يديه بنعومة على كتفيها، وقال:

ـ وما يجعلك على الاعتقاد بأنني سأتركك او اتخلى عنك؟

تطلعت حولها بسرعة، ثم تمتمت قائلة:

ـ كنت في منتصف حلم رائع، ولكنه تبدل بصورة مفاجئة. ماذا تفعل هنا؟

ابتسم وقال لها مازحاً برقة واخلاص:

ـ اعتقدت وماري انك قد تشتاقين الينا، فعدنا باكراً. يبدو اننا كنا على حق، والا لما كنت تحلمين بمثل هذه الاشياء السخيفة المزعجة. . . التي تدمع عينيك.

ـ هل تأخرنا كثيراً؟ هل فاتنا موعد الغداء؟ كيف وجدتني هنا؟

ـ ثلاثة اسئلة في وقت واحد؟ حسناً، سأجيبك عليها. نعم، تأخرنا كثيراً. . . وهذا هو سبب احضاري الطعام الى هنا. اما

بالنسبة لكيفية اهتدائك هنا، فقد استخدمت حاسة الشم.

ـ هل رائحتي قوية الى هذه الدرجة؟ لماذا احضرت طعاماً؟ وهل سنأكل هنا ايضاً؟

ـ ثلاثة اسئلة مرة اخرى. لن اجيبك عن الاول، وسأدع سؤالك الثالث يجيب السؤال الثاني.

ثم ضحك واضاف قائلاً:

ـ خطرت ببالي فكرة ذكية وعظيمة، فأطلعت ماري عليها. تبرعت السيدة الطيبة باعداد طعام يكفي شخصين جائعين، ووعدت بالاهتمام بعلبتنا حين عودتنا. الآن، يا آنستي العزيزة، حان دوري انا لتوجيه الاسئلة. لماذا اخترت هذا الموقع بالذات لكي تنامي فيه وتحلمي؟

ـ هذا مكان احلامي المفضل، وهذه الازهار الرائعة هي جواهري وسريري.

ـ يا للشاعرية والذوق الرفيع، يا فتاة! انه حقاً مكان رائع. اوه، أليس هذا هو الموقع الذي انقذتك...

ـ نعم، وهو ايضاً المكان الذي ستطعمني فيه قبل ان اموت جوعاً.

تناولا طعامهما وشربا عصير الليمون المثلج، وهما يثرثران ويضحكان. اشعل سكوت سيكارتين واعطاها احداهما، ثم قال لها فيما كانا يستلقيان على ظهريهما:

ـ اكلنا بنهم... وحتى التخمة، يا آنستي الكريمة.

ـ صحيح، ايها السيد. صحيح جداً!

ـ يحق لك الآن، ايتها الوطفة المخلصة، استخدام ذراعي كوسادة. هيا، لا تخافي فلن اخنقك.

وضعت تيريزا رأسها بحذر على ذراعه، ثم قالت له بعد لحظات وجيزة:

ـ اياك ان تنام. الحركة ضرورية جداً بعد هذه الوليمة الكبيرة.

ـ حقاً، ايتها الحورية الجميلة؟ اذا قررت اي شيء من هذا القبيل، فسوف اتبعك... بكل... سرور.

شعرت بحاجة ماسة للنوم، وكان آخر شيء سمعته قبل الاستسلام للرقاد.

استيقظت بعد اكثر من ساعة، فهبت واقفة بكثير من العصبية. فتح سكوت عينيه، وقال:

ـ آه، كم انا مسرور لأنك استيقظت. لم اعد اشعر بذراعي منذ اكثر من عشر دقائق.

ـ ولماذا لم توقظني؟

ـ كنت تضحكين اثناء نومك، فلم يطاوعني قلبي على حرمانك مما كنت تحلمين به.

ـ وانت كنت تشخر بصوت مرتفع!

وقف قربها ضاحكاً، وقال:

ـ بما اننا كنا معاً واصبحنا نعرف اسرار بعضنا، فما علينا الآن الا اعلان خطوبتنا!

ـ سكوت! هذا كلام غير لائق ابداً!

ـ انه كلام جميل وساحر، يا حلوتي. ومن المؤسف حقاً انه كلام... لا اكثر!

ـ كفى! انك فعلاً رجل شرير! هيا، استيقظ جيداً لنذهب... والا فسوف تفكر ماري مرة اخرى بارسال رجال الشرطة للبحث عنا!

ـ انت على حق، يا حوريتي الحلوة، فترات السعادة لا تدوم طويلاً. هيا الى جوادينا لأمتحن قدرتك في السباق.

ركضت وراءه وهي تردد بصمت وسعادة انها مستعدة لالقاء نفسها من اعلى قمة في هذه المنطقة... اذا طلب منها ذلك. سعيدة هي لأنه تحدث عن السعادة... ويبدو سعيداً. ربما... ربما...!

اوقف حصانه امام منزل دان وماري، ثم انزلها عن حصانها بعطف

يفوق الحدود المتعارف عليها وقال لها بلهجة قاسية:
- احذري التهور، يا تيريزا، فالحوادث تقع فجأة وبدون سابق الانذار. سأهتم بالحواجز. اخبري ماري اننا سنقبل بكل سرور دعوتها الى فنجان شاي قبل عودتنا الى البيت.
شعرت بالم حاد في عينيها. هل هو الغبار؟ لا، انه سكوت! لماذا، اوه، لماذا عاملها طوال فترة ما بعد الظهر بتلك الطريقة الودية اللطيفة الناعمة... وتحول الآن فجأة الى هذا الاسلوب المتكبر المتعالي؟ اه، كم تكرهه... هذا الاناني المزعج... هذا المتغطرس المتوحش!
تخوفت من نفسها طوال الأيام القليلة التالية، تفادياً لمواجهته ومجابهته. لم تكن خطوتها هذه من الصعوبة بمكان، بسبب تجاهل سكوت الواضح وشبه التام... لوجودها في بيته وتحت سقف واحد معه. لم تقابله الا نادراً، ولم تسمع منه اي كلام آخر عن موضوع الخطوبة. لا بد انه ندم على تسرعه او... !
تمنت من صميم قلبها لو كان بامكانها استعادة الرسالة التي بعثت بها الى ديريك، والمعبرة فيها عن خطوبتها الى رجل آخر. ولكن، لا بأس... فهي تعرف في قرارة نفسها ان سكوت سيتصرف بلياقة وتهذيب كانسان يعرف الاصول والتقاليد.
- تيريزا؟
- نعم، يا سكوت.
- هل تعتبرين وجودك في بيتي، وبالنسبة لوضعي الحالي، امراً غير لائق او مناسب من الناحيتين الاخلاقية والاجتماعية؟
صعقت تيريزا عندما سمعت هذا السؤال، وقالت باستغراب بالغ:
- لماذا؟ لم... لم افكر ابداً بهذا الموضوع. هل... هل قال احد...
- نعم. حذرني احد اصدقائي من ان وجودك هنا على النحو

الحالي سيعرض سمعتك للأذى... على الرغم من كونك مربية ابنتي.
ابتسم سكوت بصعوبة، عندما سمع شهقة من الغضب العارم تصدر عنها، واضاف قائلاً:
- اشهقي ما شئت، ايتها العزيزة. الناس سواء اينما كانوا، ومهما اختلفت ثقافتهم او طبائعهم. هجمت على ذلك الصديق وكدت ارميه ارضاً، مع انه اكد لي ثقته الكاملة بي... وباخلاقي. المهم الآن هو شعورك انت تجاه هذه المسألة.
نظرت اليه بعصبية، وقالت:
- لم افكر ابداً بقضية سمعة كهذه. اعني... كيف ينظر الآخرون الى هذه القضية؟ الى الفضيحة؟ يا للتقاليد القديمة البالية!
- هل تخافين مني، يا تيريزا؟ هل تعتبرينني من النوع الذي... قد يحاول تشويه سمعتك؟
- لا مبرر للسخرية، يا سكوت ميلوارد. اذا كنت تنوي التصرف معي مثلما فعل ديريك، فسوف اجد نفسي مضطرة...
لم يسمح لها سكوت باكمال جملتها... وتهديدها. قبض على معصمها بيد فولاذية، وقال لها بلهجة تشتعل حنقاً وانفعالاً:
- هل هذا هو تصورك لحقيقة مشاعري وتفكيري؟ انت مخطئة جداً، يا فتاة. فانا قادر تماماً على التمييز بين الخير والشر... وبين الشرف الرفيع والانحطاط الخلقي.
هزت رأسها بكثير من الحسرة والتأثر، وقالت:
- آسفة. فهذا الموضوع لا يزال حساساً جداً بالنسبة الي. اخطأت بحقك، يا سكوت. انا اثق بك الى ابعد الحدود، ومستعدة لوضع حياتي رهن امرك.
ابتسم بدهاء، وتمطى واسترخى، وقال:
- لم اعن ذلك ايضاً. ما يهمني الآن في المقام الأول، هو منع اي كلام سيئ عنك. اقدر لك كثيراً ثقتك بي، ولكني سأتصل بصديقة

مسنة تقيم بمفردها في العاصمة كي تأتي الى هنا وتقيم معنا. . . كمحارس لمن يحد هنا كلام ذوي النوايا السيئة.

ثم تنهد واضاف قائلاً:

ـ لكن الآنسة ماتيلدا تحب ايلاين، وقد انتقلت الى العاصمة بعد فترة قصيرة من احتضار . . . زوجتي . . . الى البيت.

ـ اوه!

ـ يا لك من فتاة ثرثارة. اذا قبلت ماتيلدا دعوتي، فسوف نحضرها معنا. بالمناسبة، استعدي للذهاب في وقت مبكر من صباح غد باذن الله. . . فالمسافة طويلة جداً.

ـ صباح غد؟ ولكن . . .

قال لها متهكماً:

ـ صباح غد، يا سيد ميلوارد؟ ولكنني لست مستعدة بما فيه الكفاية؟ أليس لدي ما ارتديه! لا مبرر للقلق، يا عزيزتي، فسوف نشتري كل الاغراض التي تريدها من هناك.

ربت على كتفيها بنعومة واضاف قائلاً بجدية، فيما كان يتجه نحو الباب:

ـ يمكننا ايضاً اختيار خاتم الخطوبة.

ـ ولكن . . .

دخلت ماريتا في تلك اللحظة، وسألتها عما اذا كانت ترغب في نزهة قصيرة. ابتسمت لها وقالت بحنان ظاهر:

ـ طبعاً، يا حبيبتي، ولكننا مضطرتان اولاً لاعداد حقائبنا. اخبريني، يا ماريتا، عما يعنيه والدك بالوقت المبكر. مع طلوع الشمس، بعد الفطور ام . . .

ـ يذهب في عادة قبل الشروق . . . وزقزقة العصافير.

بعد العشاء، اقترح عليها سكوت مرافقته الى الحديقة للتمتع بنسيم الليل العليل. جلسا صامتين على احد المقاعد الخشبية، فبدا غيابها بالعمل. اه لو كانا زوجين سعيدين . . . لكانت الآن ملتصقة

به وتنعم بالدفء والحرارة، بدلاً من الجلوس وحيدة حزينة على بعد اكثر من متر عنه! كانا سيذهبان بعد قليل للاطمئنان على ميتشا، ثم . . . الى غرفتها . . .

ـ سأذهب الى النوم الآن، يا سكوت، كي اتمكن من القيام باكراً.

لحق بها واوقفها امام الباب، قائلاً:

ـ تيريزا! اشعر برغبة قوية . . . للطلب منك . . .

تردد بعض الشيء، ثم مضى الى القول:

ـ اعتقد . . . اعتقد ان الأمر يحتمل التأجيل الى وقت افضل. في اي حال، ارجو الا ترعبك خطوبتنا الوهمية هذه. لن اضعك ابداً في اي موقف حرج نتيجة لهذا الاتفاق. ارجوك ان تصدقيني!

ـ اصدقك، يا سكوت، واشكرك على هذا التصرف النبيل. تصبح على خير.

هل ستتمكن يوماً ما من معرفة ماهية الطلب الذي كان سيتقدم به؟ هل سيعرف قلبها السعادة ولو بعد حين، ام انه سيعود الى ايلاين . . . ويضيع الأمل؟ وهل . . .؟ سمعت رنين جرس الهاتف، فتسمرت في مكانها ولم تغلق باب غرفتها.

ـ نعم؟ سأنتظر. شكراً. مرحباً، ايتها الحبيبة. كم انا سعيد بسماع صوتك . . . طبعاً، طبعاً انا مشتاق جداً اليك. لماذا؟ اوه، سأخبرك عندما . . .

اغلقت الباب ورمت بنفسها على السرير، والألم الحاد يعصر قلبها ويدميه. وما هي الا لحظات حتى سمعت طرقة خفيفة على الباب. فتحته بحدة وسألت سكوت بعصبية عما يريد.

ـ اتصلت بي الآنسة ماتيلدا قبل قليل، وقالت انها مغتبطة جداً باقتراحي. سوف تعود معنا . . . وهي تتطلع قدماً لمقابلتك.

غلب الارتياح على الانفعال والسرور على الحزن والأسى، وقالت:

ـ هذا لطف كبير منها. شكراً لابلاغي ذلك، يا سكوت.
ـ يبدو انك سررت كثيراً بهذا النبأ، يا تيريزا. ستعجبك صداقتها... انها مزعجة في بعض تصرفاتها، ولكنها مرحة وذكية. اوه... سمحت لنفسي باطلاعها على موضوع خطوبتنا، وبشرح الموقف الصعب الذي نواجهه!
نظرت اليه باستغراب شديد، فمضى الى القول:
ـ كانت مسرورة جداً، وتمنت لنا السعادة والتوفيق. قالت ان الوقت قد حان لكي استقر مع فتاة طيبة، واتوقف عن التفكير بتلك الساحرة الخبيثة... على حد وصفها.
ـ لم يكن هناك مبرر لتعقيد الأمور بمثل هذه السرعة. كنت افضل لو انك اكتفيت بشرح قضية الثرثرة وكلام الناس.
ـ ليس هذا ما افضله انا، في اي حال. ستكون الآنسة ماتيلدا جاهزة للعودة معنا، وهذه هي النتيجة المرجوة والهامة.
ـ بالمناسبة، كيف عرفت الآنسة الكريمة انني فتاة طيبة؟ لم تكن تجربتك الأولى ناجحة، فكيف استنتجت بسرعة... وبدون اي معرفة سابقة بي... انني اناسبك بطريقة جيدة؟
ـ ربما تصورت ماتيلدا انني تعلمت من الأخطاء السابقة، واصبحت اكثر خبرة وتمرساً في هذا المضمار. ثم... هل نسيت انت يا ترى انها خطوبة وهمية؟
ـ طبعاً لا! ولكن... كيف تنوي فسخ هذا التحالف المؤقت اذا اكتشفت بصورة جازمة ان ايّاً منا لا يريد ابداً العودة الى علاقته السابقة؟
تأملها عابساً بضع لحظات، ثم قال لها بمزيج من الحدة والسخرية:
ـ التحالف الوهمي! تعبير شيطاني يذكرني بالقرون الوسطى! لا تقلقي، يا عزيزتي، فسوف تعرف كيف ستواجه هذه الورطة الكبيرة عندما تصل اليها. سأدق باب غرفتك صباحاً، لأتأكد فقط من انك

استيقظت. تصبحين على خير، ايتها الخطيبة الحبيبة.
اوقف سكوت السيارة امام منزل صديقيه جيمي وفاليري مارتن حيث كانت تنتظرهم تلك السمراء الجذابة الى درجة الاغراء. فتحت ذراعيها لصديق العائلة، فضمها بقوة الى صدره وقبلها... كما يقبل الرجل ابنته. عانقت فاليري الطفلة الصغيرة بمحبة وحنان، ثم التفتت نحو تيريزا باسمة ومرحبة بود وحرارة:
ـ هيا، تفضلوا الى الداخل، فأنتم بالتأكيد متعبون وبحاجة للراحة الفورية. اوه، كم انا سعيدة بمجيئكم. هل كانت رحلتكم جيدة؟ آه، مليندا، انك الآن فتاة كبيرة واجمل من قبل. آنسة ستانتون... تيريزا، انا مسرورة جداً بالتعرف اليك. سكوت، سيأتي جيمي خلال لحظات و...
قاطعها زوجها قائلاً بمرح ظاهر، وهو يمد يده لمصافحة صديقه:
ـ امرتني ربة البيت بالاغتسال وارتداء الثياب اللائقة باستقبال الضيوف، ففعلت ذلك صاغراً وبدون تردد.
قبل جيمي الفتاة الصغيرة، ثم تأمل تيريزا بعض الوقت وقال باعجاب بالغ:
ـ اوه... اوه، يا للجمال الساحر!
اقترب سكوت من تيريزا ووضع ذراعه على كتفيها، قبل ان يقول مازحاً:
ـ اياك والمنافسة، ايها الصديق العزيز، فهي خطيبتي.
استفاق جيمي من دهشته خلال فترة قصيرة نسبياً، وقال لزوجته التي لا تزال تنظر بذهول الى سكوت:
ـ ما بالك تسمرت هكذا في مكانك، يا امرأة؟ الن تحضري للاصدقاء المتعبين اي شراب بارد منعش؟ لقد فاجأتنا تماماً، ايها المحتال الكبير! تهانينا القلبية الحارة.
وضع جيمي يده على كتف صديقه، ثم قبل تيريزا وهو يضيف قائلاً:

ـ انك حقاً سيد المفاجآت. . . والقرارات الحكيمة الذكية. اهلاً بك، يا تيريزا.

احضرت فاليري اكواب الشراب ووزعتها على الجميع، قائلة:

ـ انك لعين جداً، يا سكوت، لم تخبرنا في رسالتك الا انك ستحضر مربية مفيدة. متى حدث ذلك؟ اوه. . .! سينزل هذا التطور الجديد كصاعقة على رأس احدى السيدات. هل تعرف انها هنا، يا سكوت؟

ـ لا لزوم للتحدث بالرموز والألغاز، يا فاليري، فتيريزا تعرف كل شيء. سأتصل بالإلاين لاعيد اليها بعض الاغراض الخاصة التي حضرت لاجلها.

ـ اوه، يا للعباوي! كدت انسى اصول الضيافة بسبب هذه المفاجأة. . . السارة. سيهتم بك جيمي، يا سكوت، فيما اعتني انا بهاتين الشابتين الجميلتين. هيا، يا تيريزا، لأرشدك الى غرفتك التي ستشاطرك اياها مليندا.

عادت تيريزا الى القاعة بعد اقل من نصف ساعة، فوقف لها الرجلان تقديراً واحتراماً. اقترب منها سكوت، ثم امسك بذراعها وقال:

ـ انك جميلة جداً، ايتها الحبيبة. لا يمكن لأي شخص ينظر اليك الآن التصور انك وصلت قبل قليل من مكان يبعد مئات الكيلومترات عن هذه المدينة.

ابتسم لها جيمي، وقال:

ـ اتمنى لكما من صميم قلبي مستقبلاً تعمه السعادة والبهجة. هل حددتما الموعد؟

ـ اي موعد؟

ـ موعد الزواج، ايها الرجل الكبير!

نظرت فاليري بشيء من الاستغراب الى الفتاة المعقودة اللسان، فيما كان سكوت يتمتم قائلاً:

ـ موعد الزواج؟ اوه. . .! لم تسنح لنا الفرصة بعد لاختيار خاتم الخطوبة. مهلكما، ايها الصديقان العزيزان!

وضع يده على الرأس الملتصق به، وقال لصاحبته الصامتة:

ـ علينا التفرغ بعض الوقت غداً لاختيار خاتمك، ايتها الحبيبة الغالية.

ذابت. . . ضاعت. . . حلقت. . . ولم تعرف كيف تجيبه، فاكتفت بهز رأسها. ابتسم جيمي وقال:

ـ يبدو ان اجنحة الحب حلقت بكما بعيداً عنا. . . وهذا امر متوقع بين شخصين عاشقين. ولكنك مضطر، يا سكوت، للاجتماع هذا المساء مع ممثل الشركة الوطنية للتجارة ومندوب عن المصرف. فماذا ستفعل بهاتين الشابتين الجميلتين؟

نظرت فاليري نحو تيريزا مستفسرة، فقالت لها:

ـ ان لم تكوني قد اعددت خططاً معينة للسهرة، فسوف اعتذر منكم واذهب الى النوم باكراً. انني. . . انني متعبة جداً.

ـ كما تريدين، يا عزيزتي. سنهجر الرجال بعد العشاء، ونذهب الى غرفتك للثرثرة. يمكنك طردي من الغرفة ساعة تشعرين بالنعاس، او عندما ازعجك باسئلتي المتلاحقة عن كيفية اللقاء والوقوع في الحب و. . . كل شيء. لا فائدة من عبوسك، يا جيمي مارتن، فحب الاستطلاع يكاد يشل تفكيري.

ضحك الجميع، ثم تحول سكوت نحو تيريزا وسألها:

ـ هل تذكرين كيف التقينا، ايتها الحبيبة؟

ـ اذكر ذلك بوضوح تام. هل تريدني ان اطلع فاليري على بعض اساليبك الملتوية؟

ـ اخبريها ما شئت، ولكن بدون اي تشويه كبير لشخصيتي وسمعتي.

ـ سأفعل ما تقول، اذا احسنت انت التصرف معي. . . كما وعدتني بذلك. تذكر اتفاقنا الذي يقضي بتفادي الاحراج

العاطفي . . . بصورة علنية .

ـ لماذا انسى باستمرار، ايتها الحبيبة، انك تخجلين من المغازلة امام الناس؟ اعدك بانني لن اقدم على اي شيء من هذا القبيل . . . الا عندما نكون على انفراد .

تنحنح جيمي قليلاً، وقال باسماً:

ـ ارجوكما اعتبارنا وكأننا غير موجودين هنا، فأنا وفاليري لسنا غريبين عنكما. لا يهمنا ابداً ان لاحظ الآخرون اننا نحب بعضنا. لا تخجلي ابداً من اظهار حبك، يا تيريزا، نحو هذا الرجل الذي تصورنا انه دفن قلبه وعواطفه الى الأبد.

ارتجفت يدها وهي تأخذ سيكاراً من العلبة الموجودة على الطاولة. شعلها لها سكوت وقال:

ـ جيمي على حق، يا حوريتي الجميلة. ومع ذلك، فسوف احد من اندفاعي احتراماً لمشاعرك ورغباتك.

عرفت انه يسخر منها، فأحست بموجة من الازدراء تعم جسمها وافكارها. قالت له ببرودة واضحة:

ـ لماذا لا نترك هذا الموضوع، أيها الحبيب، قبل ان يضجر منا صديقانا.

انفردت فاليري وتيريزا بعد العشاء في غرفة الضيوف، وتحدثتا عن داري ودان . . . من ضمن امور اخرى. ثم بدأت الاسئلة الشخصية . . . اخبرتها تيريزا عن علاقتها مع خطيبها السابق، وزيارة صديقتها، ومقابلتها سكوت . . . وقبولها عرض العمل الذي قدمه لها. وصمتت . . .

ـ لم تخبريني عن الموضوع الأهم . . . خطوبتك الى سكوت. هيا، يا فتاة. هيا!

ظهر الارتباك واضحاً على وجه تيريزا، فأضافت فاليري قائلة:

ـ لا لزوم لابلاغي اي شيء، يا تيريزا. انها امور شخصية، ولا اريد التطفل. اعذريني، ايتها العزيزة.

فتحت تيريزا فمها لتتحدث، ولكنها ترددت. هل من العدل والانصاف خداع هذين الشخصين الطيبين؟ انها تحتال سكوت ميلوارد وتحترمانه، وها هو الآن يخدعهما بصورة متعمدة . . . ويراقبهما. شعرت بالاشمئزاز واحتقار الذات. كان من الأفضل اطلاع فاليري على كافة التفاصيل، فهي على ما يبدو لا تحب ايلاين كثيراً . . . وستعمد تفهم هذا الموضوع الحساس. ولكن الوقت فات . . . فالرجل اتخذ قراره وما عليها هي الا تنفيذ ما يريده.

ـ ليست هناك اي امور جديدة اضيفها لك، يا فاليري. قررنا الخطوبة . . . وهكذا كان.

ـ هكذا؟ ملعيذا تحبك كثيراً، وسكوت معجب بك، وانت بالتأكيد تحبينه الى درجة كبيرة.

ـ بالتأكيد، يا فاليري؟ هل يبدو ذلك بكل وضوح؟

ـ طبعاً، يا عزيزتي، ولا مبرر للاستغراب والدهشة. وجهك يشع حباً وهياماً، واي امرأة يمكنها ملاحظة ذلك بسهولة وبساطة. قد يكون الرجال في هذا المجال اقل معرفة . . .

ـ اوه، كم اشكر الظروف على ذلك!

ضحكت فاليري لسماعها تلك الجملة الغريبة، وقالت:

ـ لماذا، يا تيريزا؟ لماذا لا تريدينه ان يعرف مدى حبك له؟ الحب شعور عظيم، وعليك المجاهرة به وباظهاره . . . وخاصة اذا كان حبيبك يبادلك اياه.

تألمت المسكينة واحست بغصة قوية، ولكنها سيطرت على اعصابها وقالت:

ـ انت على حق، يا فاليري. الحب شعور رائع . . . ولكنه جديد بالنسبة الي . . .

ـ وتريدين الاحتفاظ به لنفسك بعض الوقت؟ هذه انانية كبيرة ولكنها منطقية الى درجة معينة. اعرف كيف تشعرين، واعدك بألا اوجه اليك المزيد من هذه الاسئلة الخاصة. تصبحين على خير، يا

تيريزا. انا مسرورة جداً، لأن سكوت اختارك انت بالذات.

٨ - ستتزوج غداً!

تمنت تيريزا حضور المزاد العلني الذي يقام في العاصمة لبيع الأبقار واوراق البيع. ولكنها لم تجد الشجاعة الكافية لتطلب من سكوت ذلك. توقعت ان يدعوها لمرافقته، فلم يفعل . . . بل قال لها قبل مغادرته البيت مع جيمي:

ـ سأقابلك في شارع جاكسون، في تمام الواحدة. ارجوك الا تتأخري، لأن وقتي لا يسمح لي بالانتظار طويلاً. سأترك لك سيارتي كي تستخدميها في تنقلاتك. فاليري تعرف المكان الذي اريد ملاقاتك فيه. ستتناول طعام الغداء في مطعم قريب من المكان الذي سنقصده. الى اللقاء.

ضحكت فاليري وقالت لصديقتها الجديدة، بعد ذهاب الرجلين:

ـ سوف تعتادين عاجلاً ام آجلاً على هذه . . . التصرفات الصعبة

الى حد ما. ولكن مظاهر التسلط الخارجية هذه، تخفي وراءها قلباً كبيراً وعاطفة جياشة.

ثم تنهدت بمرح ظاهر، واضافت مازحة:

ـ يبدو انه اخذ بيديك الى عمل الجد . . . فلم يحادثك مثلاً قبل ذهابه الى العمل. آسفة، يا تيريزا. لنتحدث الآن عما سنفعله اليوم. هل تحبين زيارة المتحف الفني والحدائق، ام تفضلين القيام بجولة على المحال التجارية؟

ـ افضل المتحف والحدائق العامة، نظراً لوجود ميلندا معنا.

لم تندم تيريزا ابداً على قرارها هذا، لأن الجولة الطويلة كانت ممتعة للغاية. شربن الشاي في احد المطاعم الصغيرة ومشين الى البحيرة المجاورة، حيث جلست الشابتان على العشب الأخضر الجميل وراحت الصغيرة تقفز هنا وهناك بسعادة فائقة. وفيما كانت تيريزا تتحدث عن بعض المشاكل التي تقع في المستشفيات، قاطعتها فاليري قائلة بصوت منخفض:

ـ انظري! ها هي ايلاين تخرج الآن من المطعم الذي كنا فيه!

التفتت تيريزا بسرعة نحو ميلندا، التي كانت ترمي قطع الخبز الى اوزة بيضاء جميلة، وقالت هامسة:

ـ لا تدعيها تراك، يا فاليري. هل هي آتية الى هنا؟

ـ لا . . . لا اعتقد ذلك. في اي حال، انها تضع على رأسها قبعة كبيرة ستمنعها من رؤيتنا.

ـ اخفي وجهك، بحق السماء. لا يريدها سكوت ان تشاهد ميلندا او تزعجها.

خيم الصمت الرهيب والتوتر الشديد حولها بضع لحظات، تمت تيريزا خلالها الا تدير الصغيرة وجهها نحو المطعم.

ـ تعالي، يا ميلاني، لنطعم تلك الأوزة الجميلة ونلتقط لها بعض الصور.

ضغطت تيريزا بقوة على يد فاليري، ولم تتركها الا عندما سمعت

صوتاً يقول:

ـ لا تكوني سخيفة، يا مادلين. الطقس حار جداً، ولا يهمني الآن سوى الوصول الى الفندق واخذ حمام بارد. يكفينا اليوم. . .

اختفى الصوت تدريجياً مع ابتعاد السيدتين عنهما، فقالت فاليري:

ـ ارتاحي الآن، يا تيريزا.

ـ رباه، كم كانت قريبة منا!

ـ اسمعي، يا عزيزتي. ايلاين موجودة في المدينة، وسوف نلتقيها بطريقة او بأخرى. لماذا ستفعلين، ايتها المسكينة، اذا تم هذا اللقاء الحتمي؟

ـ اعرف ذلك، يا فاليري، ولست قلقة ابداً من احتمال حدوثه. ولكن سكوت مصر على ابعاد ميلندا عنها. لا تسأليني عما اذا كنت اعتبر قراره صحيحاً ام لا. اوه، لو انها رأتك او لاحظت وجود ابنتها. . .

ـ خففي من توتر اعصابك، ايتها العزيزة، فقد ربحت على الأقل الجولة الأولى. هل تعرف ايلاين شيئاً عنك؟ ليس هذا الأمر اي عيب على الاطلاق، لأنها لم تعد زوجته. . . لم تعد كذلك. عاملته بطريقة تثير الاشمئزاز، وبأسلوب لا يغتفر. لا احد يعرف مدى سوء معاملتها له اكثر مني وجيمي. عزة نفسه وشهامته لا تسمحان له بالتحدث عنها، ولكنه تألم كثيراً وصار يتصرف بقساوة وسخرية مع الآخرين ليغطي ألمه وعذابه. وكانت اقسى صفعة تلقاها من تلك اللعينة، هي طريقة تجاهلها للطفلة وتخليها عنها. هل اطلعك عما حدث؟

ـ اعرف القليل، فنحن لم نلتق الا منذ فترة قصيرة. في اي حال، انا لست راغبة ابداً في معرفة التفاصيل المؤلمة. لا اعرف ايضاً ما اذا كان سكوت قد اتصل بها او كتب لها . . . هنا.

ـ اعتقد انه يعرف كيف يتصرف في هذه الأمور. انا سعيدة جداً،

لأن لديه شخصاً مثلك يخفف من قساوته ويعيد اليه حياته ومرحه. انه رجل طيب ونشيط للغاية، ولكن الألم المرير غاص الى اعماق فؤاده. انت طريقه الى الخلاص من هذه المحنة، ايتها العزيزة.

شعرت تيريزا بخجل عميق نتيجة لما حدث مع جيمي وڤاليري. لا يزال قلب سكوت مفعماً بالمرارة، ولكنه بالتأكيد لم يستعد حيوته وحيويته بسببها هي. سيقابل زوجته، وسيكتشف على الارجح انه يحبها الى درجة تسمح له بقبول اعتذارها. ثم لو كان بامكانها اطلاع هذه الصديقة الجديدة على اسرارها ومشاكلها، فهي طيبة وحنونة ومتفهمة.

ـ لندع الآن هذا الموضوع جانباً، يا ڤاليري، فأعصابي لا تتحمل المزيد.

ثم ضحكت واضافت قائلة:

ـ اعتقد ان الخوف الذي تملكني اثناء مرور بلاين هو المسؤول عن هذا التوتر.

تأملتها ڤاليري بتمعن وقالت لنفسها ان الأمر الوحيد الذي تعرفه بالتأكيد هو ان تيريزا ستنترد تحب سكوت بيلوارد حباً عميقاً. ابتسمت وقالت بهدوء:

ـ لماذا لا تعودين الآن الى البيت، كي تتمكني من مقابلة سكوت في الموعد المتفق عليه؟ لن يكون مسروراً ابداً اذا تأخرت! هيا، سأبلغك عن المكان الذي سيقابلك فيه.

اوقفت السيارة امام المبنى المحدد في الواحدة الا خمس دقائق، ولكنها لم تخرج منها. وصل سكوت بعد ثلاث دقائق تقريباً وهم بفتح بابها، فقالت له:

ـ اريد التحدث معك لدقيقة واحدة، يا سكوت. ارجوك!

ذهب الى الجانب الآخر من السيارة، وجلس قربها. ابتسم لها وقال:

ـ كلنا آذان صاغية، ايتها العزيزة.

ـ لا اعتقد ابداً ان من الضروري الوصول الى هذا الحد... بعد ابتياع خاتم للخطوبة. لماذا لا نكتفي بالقول اننا خطيبان؟ لم يعد الناس في هذه الأيام مضطرين لاظهار الخواتم ليثبتوا خطوبتهم امام الآخرين. اضف الى ذلك ان خطوبتنا وهمية زائفة!

قدم لها سيكارة، فرفضت شاكرة. اشعل سيكارته بهدوء مبالغ فيه، ثم قال بلهجة حازمة لا تقبل الاعتراض:

ـ اعتزم اظهار خطوبتنا لمن وكأنها حقيقية بالتمام والكمال. وعليه، فسوف نبتاع الخاتم... ومن هذا المكان بالذات.

ـ ليس الأمر ضرورياً ابداً، يا سكوت، كما ان الخواتم اصبحت في هذه الأيام باهظة التكاليف. قبل جيمي وڤاليري اعلاننا، او بالأحرى اعلانك انت عن الخطوبة، دونما اي اصرار على طلب البيانات او تأكيدات معينة. فلماذا ستكون عزيزتك بلاين مختلفة عنهم؟!

ـ عزيزتي بلاين، كما تصفينها، تحب الاثبات الظاهر. وبما انني لست انساناً بخيلاً او معدماً، فسوف اشتري لك خاتم خطوبة. هذا ما اريده وما انوي تنفيذه.

ـ وماذا سأفعل بالخاتم بعد انتهاء هذه التمثيلية؟ قد تقرر اعادتها الى بيتك، فماذا سأفعل به؟ واذا قررت عكس ذلك، فلن يعود لخطوبتنا الوهمية هذه اي اهمية او ضرورة على الاطلاق.

ـ الجوهرة الحقيقية لا تفقد قيمتها ابداً، ايتها الحبيبة. قد تقررين الاحتفاظ بالخاتم كتذكار مني، او رميه امامي حسب التقاليد القديمة... هذا امر عائد اليك. ما يعنيني انا في المقام الأول هو عدم وقوعي في شرك زوجة سابقة، ستحاول الناس بعمل شيء ندمت عليه. انت وعدتني بالمساعدة، وعليك تنفيذ الوعد. لو كان صديقك العزيز عريك لا يزال موجوداً، لكنت نفذت الجانب المتعلق بي من اتفاقنا. لماذا تضيع الوقت الآن، ايتها الخطيبة الجميلة؟ ابتسمي وتظاهري بالسعادة والفرح، كي ندخل هذا المحل

كشخصين عاشقين.

لبثت تيريزا أكثر من نصف ساعة داخل ذلك المتجر الأنيق... وهي تشتعل غضباً. وافقت على كل خاتم أحضره لها الموظف المسؤول، إلى أن فقد سكوت صبره واختار لها خاتماً يعجبه ويرضي ذوقه. شهقت رغماً عنها، اعجاباً بجمال الخاتم وروعته، وتمنت لو أن الأمور كانت مختلفة لجمعها هذا الخاتم حقيقة مع الرجل الذي اختاره قلبها...

أرشدهما البائع إلى غرفة جانبية، حيث يمكن للرجل السعيد تقديم الخاتم إلى حبيبته... ودخلاها. أغلق الموظف الباب بهدوء، فيما كان سكوت يخرج الخاتم من علبته المخملية الأنيقة... ويلبسه إصبع تيريزا برقة ونعومة... أحست بالدموع الحارة تحرق عينيها، فسحبت يدها بغضب وانفعال شديدين قائلة:

ـ إذا أردنا خداع الآخرين، فلا داعي لخداع نفسينا في هذه الغرفة. ها نحن قد أصبحنا مخطوبين، والخاتم جميل للغاية ويعجبني كثيراً. هيا لنذهب.

ـ لا، لن نذهب الآن. وعدتك بألا استغل موضوع الخطوبة، ولكن التقاليد تقضي بأن يعانق الرجل خطيبته. انت جبانة جداً، وقدرتي على مقاومة الاغراء الآن ضعيفة للغاية.

طوقها بذراعيه وأضاف باسماً:

ـ أريد منك الآن شكراً حسياً على مدى اعجابك بهذا الخاتم.

حاولت دفعه عنها، ولكنه لم يتركها. ضربته بقوة على صدره، فلم يتحرك. نظرت اليه بحزن وأسى، وكأنها تناشده أو تتوسل اليه ليبتعد عنها، وعندها فقط... انحنى رأسه قليلاً. ابتعد عنها فجأة، وهو يتنفس بصعوبة وينظر اليها بعينين متوهجتين. تسمرت في مكانها فاقدة النطق، ضعيفة... وخائفة من رفع رأسها نحوه كيلا يشاهد الحقيقة في عينيها ونظراتها. كان قلبها يخفق بعنف وجنون، كجناحي طائر سجين.

تأمل سكوت الرأس المنحني لفترة طويلة، ثم وضع يده برفق تحت ذقنها ورفع وجهها نحوه بنعومة، قائلاً:

ـ لن احتقر احاسيسك ومشاعرك بالاعتذار لك عن تصرفي... ولكن عن اندفاعي المتهور وعدم توقفي في اللحظة المناسبة. لا شك في أنك صعقت من جراء هذا التصرف الوحشي الأرعن. اجلسي هنا، يا تيريزا، كي احضر لك كوباً من الماء.

لن تعلمه أبداً على حقيقة شعورها تجاهه... مياه الدنيا كلها غير قادرة على اطفاء الحريق المشتعل في قلبها. استعادت روحها المرحة بصورة مفاجئة، عندما تخيلته يرغمها على شرب كمية هائلة من الماء. ابتسمت وقالت:

ـ أنا بخير يا سكوت. أشعر فقط بألم خفيف من جراء الضغط الشديد الذي مارسته على عظامي المسكينة.

ـ هل هذا هو كل ما حدث لك؟

لم ترغب في احراجه بالاعلان له الآن عن حبها، فقالت له مازحة:

ـ لولا الألم الذي أصابني في معظم أنحاء هيكلي العظمي، لكان عناقاً لا بأس به.

ـ إذا كنت حقاً خائفة، فلا تظهري مثل هذا الاغراء المثير في وضح النهار. مسكين ديريك... بدأت الآن افهم سبب غيرته وشعوره بعدم الثقة! لو كنت مكانه، لوضعتك في برج عال واقفلت الأبواب بسلاسل من الحديد. هل كنت تحاورينه معه كما فعلت معي، ثم تضحكين عليه بالطريقة ذاتها؟

سارت تيريزا نحو الباب ووقفت أمامه بتهذيب كي يفتحه لها، ثم قالت:

ـ هيا بنا، يا سكوت، فهذه الغرفة ليست لنا وحدنا. سامحتك على هذه الكلمات القاسية، لأنها نتيجة انفعال وتوتر أعصاب.

لاحظ سكوت، أثناء تناولهما الغداء في المطعم المجاور، أنها تتأمل

الملامح باعجاب ظاهر. ابتسم باخلاص وقال:

ـ انه حقاً رائع، ويناسب يدك الجميلة الى درجة كبيرة. انا فخور جداً لكوني الرجل الذي قدمه لك، يا تيريزا، حتى بالرغم من التصرفات الغبية التي رافقت تقديمه... ومع انه موجود بصفة مؤقتة هل تغفرين لي سوء تصرفي معك؟

نظرت تيريزا الى يده الممسكة بيدها، واجابته بصوت ناعم:

ـ نعم، يا سكوت. كل ما في الأمر ان عزة نفسك جرحت بعض الشيء، فتوترت اعصابك.

ـ سأكون صريحاً وصادقاً معك، ايتها العزيزة. لم اقل ما قلته لك بسبب طعنة اصابت عزة نفسي، ولكن نتيجة شعور مفاجىء بالغيرة عندما تخيلت رجلاً آخر يعانقك ويتمتع باستجابتك له.

لم تصدق اذنيها، فسألته باستغراب شديد:

ـ الغيرة؟

ـ أوه، اللعنة! اعرف انه ليس لدي اي حق بأن اشعر بالغيرة، ولكني شعرت بها... وكانت قوية وحادة. اعلم انك لا تزالين متضايقة جداً من ديريك، واعلم اني تصرفت معك بقساوة وعنف بالغين. اما بالنسبة اليك، فقد سبق وذكرت لك انني لست صخرة صماء لا حياة فيها... وانك فتاة جذابة تصعب كثيراً مقاومة سحرها وجمالها. ما رأيك الآن في ان تكوني شابة طيبة وتنسي هذه المشكلة البسيطة، وتقبلي بعودة صداقتنا الى سابق عهدها؟

ضاع الأمل الذي انتعش قبل قليل، وحل اليأس والظلام محل السعادة والضياء. مشكلة بسيطة يا الهي؟ هل هذا كل ما في الأمر بالنسبة اليه؟ هل تداعت القصور التي بنتها في الهواء؟ مسكينة!

ـ ماذا تقولين، يا تيريزا؟ هل نعود صديقين كما كنا؟

وضعت يدها في يده الكبيرة القوية، وقالت له بهدوء وبرودة:

ـ نعم، يا سكوت، سنعود صديقين.

ـ يا لك من فتاة رائعة! اوه، يجب ان اعود الآن الى عملي. اقترح

عليك، بعد انزالي في مركز البيع، التوجه فوراً الى منزل جيمي وفاليري لأجل الراحة. سنذهب واياهما الليلة الى نادٍ ليلي جديد، يعتبر من ارقى وافخم نوادي العاصمة.

ـ فكرة عظيمة، ولكن ماذا بشأن ماتيلدا؟

ـ من المؤسف حقاً اننا لم نحضر كليو معنا، ولكن الآنسة ماتيلدا سوف ترافقنا في طريق العودة. سيطلب جيمي وفاليري من ابنة جارهما البقاء مع ماتيلدا لحين رجوعنا من السهرة. ستلتقي ماتيلدا غداً صباحاً باذن الله، ويتم التعارف بينكما.

لاحظت تيريزا ان الجواب لم يكن مركزاً بما فيه الكفاية، وعزت ذلك فوراً الى قلقه او انفعاله بسبب ايلاين. ترى هل اتصل بها؟ لا، لا يمكن... والا لكان اخبرها باسلوبه الذي يستحيل تقليده.

حل المساء بسرعة مذهلة، فهرعت تيريزا الى غرفتها لارتداء فستان السهرة الحريري المثير... الذي شكل ثمنه الباهظ عبئاً ثقيلاً جداً على مدخراتها المتواضعة. لحقت بها فاليري بعد قليل، وقالت لها باعجاب حقيقي صادق:

ـ اوه، انك رائعة... رائعة، ايتها الحبيبة! سيلتهمك الرجال الليلة بنظراتهم...

ـ لن تقتصر نظراتهم على انا وحدي، يا فاليري. فأنت ايضاً جميلة وجذابة للغاية.

سارتا نحو قاعة الجلوس، وهما تختالان تيهاً وتتبختران زهواً. وكزت تيريزا نظرها على سكوت، فبدا وسيماً وجذاباً للغاية. تأمل الرجلان باعجاب صامت الشابتين القادمتين، قبل ان يقول جيمي لصديقه بصوت ناعم:

ـ احسدك على البقاء هنا هذه الليلة، ايها الصديق العزيز.

ـ وانا احسدك عليه ايضاً، ايها الصديق الطيب.

ثم التفت نحو تيريزا، وقال لها بلهجة لا يمكن التكهن بما تخفيه وراءها:

- أهلاً بك، يا رمز الجمال والسحر والأناقة.
تبادلت فاليري النظرات مع زوجها، ثم قالت لصديقتها الواقفة بدون حراك:
- ابتسمي معي للحب، ولهذين الرجلين العاطفيين الرائعين! هيا بنا الآن، أيها العزيزان، فلن نقبل أي تغييرات احتياطية في اللحظة الأخيرة.
تناول الجميع عشاء شهياً وغنياً الى درجة تثير الاعجاب، فيما كانت احدى الفرق الموسيقية المعروفة تتحف الساهرين بأنغام تبعث الدفء والبهجة في القلوب. اعتذر سكوت بعد قليل ليتحدث مع رجل مسن في الجانب الآخر من القاعة الخارجية، فتحلق عدد من الشبان حول طاولتهم للتعرف على الفتاة الجديدة ... الساحرة. عاد الرجل خلال دقائق معدودة، فلم يجد مكاناً يجلس فيه ... ابتسم بهدوء بالغ، ودعا تيريزا الى الرقص معه.
موسيقى حالمة ... ذراعان قويتان تطوقان خصرها النحيل ... انفاس الحبيب تداعب شعرها ... اوه، يمكنها الالتصاق به على هذا النحو حتى الأبد! سمعت قلبها يهتف به مناشداً:
- لا تتركني ابداً، يا حبيبي!
وضع يده بنعومة على رأسها وداعب شعرها بحنان ورقة، وكأنه قرأ افكارها واستجاب لمناشدتها. انتهت الرقصة، فأخذها من مرفقها وخرجا الى الحديقة التي تشرف على قاعة الرقص الزجاجية. وفيما كانت تتأمل الراقصين وهي غارقة في احلام اليقظة، لفت انتباهها توقف شخصين عن الرقص بصورة مفاجئة. شهقت دهشة واستغراباً. ودفعتها الصدمة الى الاقتراب من سكوت ... طلباً للحماية المعنوية والنفسية. لاحظ الرجل توترها واقتراب شخصين منها، فسألها بهدوء:
- خطيبك السابق، الطبيب مالان؟
- نعم ... نعم!

- حافظي على برودة اعصابك، يا فتاة، ولا تظهري اي مشاعر او انفعالات!
لم تسنح لها الفرصة لابلاغه بأن اعصابها توترت نتيجة للصدمة، وليس بسبب حب قديم او عاطفة لا تزال متقدة. مد ديريك مالان يده، وقال:
- تيريزا! كم انا مسرور برؤيتك! انها حقاً لمفاجأة رائعة!
صافحته رغماً عنها، وقالت له بلهجة اتسمت بالكثير من التكلف والمجاملة:
- ديريك! انها مفاجأة لي ايضاً. كيف حالك؟
نظر الطبيب الى الشابة الواقفة قربه، وقال:
- اعذريني، يا ماري، على هذا التوقف غير اللائق اثناء الرقص. كنت والآنسة صديقين ... صديقين.
قدم كلاً من الشابتين الى الاخرى، ونظر الى سكوت بتردد. قالت تيريزا:
- كيف حالك، يا آنسة بولتون. سكوت، اعرفك بالطبيب مالان ... وبالآنسة بولتون. السيد سكوت ميلوارد!
لاحظ ديريك خاتم تيريزا، فقال للرجل الذي لم تترك ذراعه كتفها:
- لم تذكر لي تيريزا في رسالتها اي اسم، فهل يمكنني الافتراض بأنك انت الشخص المشار اليه؟
- نعم، انا هو الرجل السعيد الذي اخبرتك عنه. ويشرفني جداً ان اكون الشخص الذي احبته تيريزا و ... ومنحته ثقتها.
شعرت تيريزا بالفخر والاعتزاز لسماعها كلمات سكوت الجميلة ... الكاذبة، ولاحظتها التأثير القوي الذي خلفته تلك الجملة على وجه ديريك وملامحه.
- في هذه الحالة! دعني اقدم لك تهاني الحارة. انك رجل محظوظ جداً، يا سيد ميلوارد، ومن المؤكد ان تيريزا تستحق السعادة

واقفاء. اوه، والثقة تلعب دوراً كبيراً في تحقيق هذا الهدف؟

ثم وجه كلامه الى تيريزا، قائلاً:

ـ هل تسمحين برقصة واحدة معي . . . هذا اذا لم يكن لخطيبك اي مانع؟

انزل سكوت ذراعه عن كتفيها، وقال:

ـ لا، ابداً، فمقابلة الاصدقاء القدامى امر مبهج للغاية. اليس كذلك، ايتها العزيزة؟ آنسة بولتون، هل احظى بشرف مراقصتك لمرة واحدة ايضاً؟

توجه الاربعة الى حلبة الرقص بصمت يحمل في طياته بوادر الترقب والتوتر. وما هي الا لحظات، حتى قال ديريك لخطيبته السابقة:

ـ على الرغم من الصدمة المذهلة التي لحقت بي، فانا مغتبط جداً لتمكن قلبك من ايجاد العزاء والسكينة بعد هذه السرعة غير المتوقعة. كنت لا ازال آمل . . .

ـ حقاً، ايها العزيز ديريك؟ يبدو ان انانيتك وغرورك لا يزالان في اوجهما!

ـ كانت الظروف ضدنا، يا عزيزتي. لم اكن لأتصور ابداً ان تلك اللعبة الحقيرة ستستخدم شقيقها للايقاع بيننا. اكتشفت لعبتها القذرة بسرعة كافية، عندما زارتني في احدى الامسيات و . . .

ـ ارجوك، اعفني من هذه التفاصيل المزعجة . . . فلست مهتمة اطلاقاً بسماعها. في اي حال، اكتشفت انا بسرعة كافية ايضاً ان الاذية لم تلحق بقلبي . . . بل بكرامتي وعزة نفسي. واذا تحطم قلبك مستقبلاً، فارجو صادقة ان تجد العزاء الضروري بالسرعة ذاتها التي حدثت معي.

ـ سمعت عن خطيبك . . . الحق انه رجل ذو مركز مرموق جداً في هذه المنطقة. التقيت زوجته السابقة . . . اوه، انها معه الآن!

التفتت تيريزا بهدوء مصطنع نحو المكان الذي اشار اليه، فلم

تتمكن من رؤيتها بسبب الازدحام الشديد. سألها ديريك بخبث واضح:

ـ هل تعرفينها؟ انني حقاً محتار كثيراً، اذ لدي انطباع قوي بانها تسعى للتوفيق والمصالحة.

لاحظت تيريزا من نظرة سريعة ثانية نحو سكوت وايلاين انهما يتحدثان بهدوء وارتياح، وانه يركز انتباهه كاملاً على تلك المرأة الجميلة المغرية . . . ويتوجه معها نحو القاعة المجاورة. اشتد انفعالها بحدة ووجعاً، وقالت لجارها:

ـ هذه هي مشكلتك الكبرى، يا ديريك مان. فانت لا ترى الا القشور، ولا تتأثر الا بالمظاهر الخارجية والانطباعات السطحية. صحيح انك طبيب ممتاز، ولكنك فيما عدا ذلك متسرع وغير متبصر في حقائق الامور الحياتية.

انضمت اليهما في تلك اللحظة الآنسة بولتون، ومعها الرجل الذي كان يراقصها. ابتسمت وقالت:

ـ اعتذر من السيد ميلوارد عن متابعة الرقص، لأن ثمة سيدة ارادت التحدث معه في امر هام وعاجل. سرني جداً انني اعرف مرافقها، فتولى الاهتمام بي دونالد اعرفك بتيريزا وديريك. هيا بنا الآن الى القاعة الاخرى!

يا للمصيبة! ماذا ستفعل؟ هل سيغضب سكوت لأنها لحقت به والسيدة عليه اجتماعه، ام انه يتوقع منها تقديم يد العون والمساعدة للتخلص من زوجته السابقة . . . كما نصت على ذلك اتفاقية الخطوبة بينهما. وصلوا الى القاعة، فلاحظت تيريزا ان سكوت وايلاين موجودان مع جيمي وفاليري. وقف سكوت لدى اقترابها منه، ثم امسك بذراعها وقال باسماً:

ـ هل تمتعتِ بوقتك، ايتها الحبيبة؟

تعمدت توجيه ابتسامة ساحرة جداً، تفيض سحراً واغراء، فاضاف قائلاً:

ـ اري انك تعرفت الى دونالد. هذه ايلاين! ايلاين . . .

ـ لا داعي لازعاج نفسك، ايها العزيز، فمثل هذا الجمال الأخاذ لا يمكن الا ان يكون لتيريزا ستانتون وحدها.

لاحظت تيريزا النظرات الحاقدة والماكرة في عيني منافستها على قلب سكوت، ولكنها تظاهرت بالابتسام وحيتها بأسلوبها المهذب المعتاد. هزت ايلاين رأسها، واضافت قائلة:

ـ اصبح بامكاني الآن، يا عزيزي، معرفة سبب بهجة سكوت وارتياحه. فسحرك بالتأكيد منعش جداً، وخاصة بعد . . .

تركت تلميحها معلقاً في الهواء، ثم تنهدت بأسى ومضت الى القول:

ـ كنت اعلق آمالاً كبيرة على اشعال نار تكاد تنطفىء، ولكني تأخرت كثيراً على ما يبدو.

ـ يا لسوء حظك وحسن حظي، يا . . . سيدة ميلوارد. اوه، هل يمكنني مناداتك هكذا ام انك استعدت اسمك السابق؟

لم تتوقع ايلاين كلاماً مباشراً وصريحاً كهذا، فتقلصت عضلات وجهها وتوترت اعصابها للحظة وجيزة قبل الرد ببرودة زائفة:

ـ احتفظت بهذا الاسم، يا عزيزتي، لأنه مميز وذو شهرة واسعة، واثبتت التجارب انه مفيد جداً . . . بالنسبة الي.

ـ انه فعلاً مفيد ومناسب لك في الوقت الحاضر، ولكنه قد يشكل في مرحلة لاحقة بعض الارتباك و . . .

لم تنه تيريزا حديثها، بل وضعت يدها على فمها بطريقة تدل على ضجرها من هذا الحديث السخيف، وقالت لجيمي مارتن ممازحة:

ـ متى سترقص مع زوجتك الجميلة، ايها الكسول؟ هيا، اجمع عظامك المفككة واذهب الى الحديقة . . . فثمة فرق هائل بين جوها المنعش الحالم وهذا الجو العابق برائحة الدخان وانفاس الناس.

تبادل الموجودون نظرات الاستغراب والذهول، ثم تفرقوا. ابتسم جيمي لتيريزا، وهو يمسك بذراع زوجته ليتوجها الى الحديقة، فيما

توجه ديريك ورفيقته الى حلبة الرقص. اما دونالد، فقد رفع ايلاين بفظاظة من كرسيها قائلاً بحدة:

ـ هيا بنا، يا حلوتي. فشعرك بحاجة ماسة للتسريح.

لم يتحرك سكوت من مكانه او يتفوه بكلمة واحدة طوال فترة المجابهة، بل ظل واقفاً بدون حراك قرب تيريزا وذراعه تطوق خصرها بشكل لا يدل على توتر او ارتياح. شعرت بانها لم تعد قادرة على الوقوف، فاختارت اقرب كرسي لها . . . وجلست . . . ثم اغمضت عينيها، وبعد لحظات قليلة، سمعته يقول لها:

ـ يا لك من محاربة ابية . . . وقوية!

لم تفتح عينيها خوفاً من ملاحظة اي اعتراض او احتجاج، وقالت بتردد:

ـ هل انزعجت او تعرقت كثيراً في تصرفي؟

ـ لا، يا عزيزتي. كنت رائعة، ايتها الصبية . . . ولكنك ستواجهين من الآن فصاعداً عدواً لا يستهان به. فزوجتي السابقة لا تنام على ضيم، ولا تقبل الهزيمة بسهولة.

ـ هل انت موافق على ما قمت به، يا سكوت، ام انك تعتقد انني افسدت عليكما فرصة المصالحة والوفاق؟

ـ اذا حدث ذلك، يا عروستي الجميلة، فالذنب ذنبي وانا اتحمل مسؤوليته. انت نفذت بالتمام والكمال ترتيبات الوقاية والحماية التي طلبتها منك.

آه منك، يا سكوت ميلوارد، ومن كلامك المبهم! كيف سأعرف الآن ما اذا كنت حقاً مؤيداً لمواقفي ام . . .

ـ لا شك في انك واجهت صعوبة كبيرة عندما تصرفت على ذلك النحو، وحبيبك السابق قربك . . . يسمع ويرى! هل يعرف الطبيب حقيقة ما يجري، وهل شعلة الحب لا تزال مضيئة ومتوهجة حتى الآن؟

ـ وماذا عن تمثيلك انت بالنسبة لموضوع الحب والثقة؟ الم يكن

ايضاً ناجحاً ورائعاً؟ يقال، ايها العزيز، ان الحب لا يعرف حدوداً . . . ولا يعترف بالروايات والتمثيليات. لنقل نحن بدورنا الآن ان كلاً منا قام بواجبه على اتم وجه، كما نصت على ذلك . . . اتفاقيتنا. اما بالنسبة لاستعداء ايلاين، فلا يهمني هذا الأمر بتاتاً!

رد عليها بحدة مماثلة، قائلاً:

ـ انا يهمني ذلك، يا تيريزا، لأنه قد يؤثر سلباً على ابنتي. هدفي الأول والأخير هو ابعاد ايلاين عن مليندا، وعليه فاهتمامي بها. . . او عدم اهتمامي بها. . . هما موضوعان ثانويان. اكرر لك، وبكل حزم واصرار، انني لا اريد قيام اي اتصال على الاطلاق بين ابنتي ومطلقتي.

ـ أليس من الأفضل اذن ان انسحب انا من هذه القضية بكل هدوء وبساطة؟ اذا فعلت ذلك، فلن يظل لديها اي سبب للتصرف بشكل عدائي تجاه مليندا. . . كنتيجة للحقد الذي تكنه لي. اوه، يبدو ان الموضوع اصبح متشعباً ومعقداً الى درجة كبيرة. . . اعني انها لم تهتم ابداً بالنسبة لابنتها، فلماذا هذا الاهتمام المفاجىء؟ هل من الممكن ان ايلاين تعلمت درساً قاسياً، وانها ستصبح اما طيبة. . . وزوجة ناجحة. . . اذا منحتها فرصة اخرى؟

ـ لا انوي القيام بذلك، لأنني. . .

ـ لا تكن قاسياً الى هذا الحد، يا سكوت!

ـ هل اكتشفت ان قلبك لا يزال معلقاً بذلك الطبيب الوسيم، وان هذه هي طريقتك المثلى لارغامي على القبول بعودة ايلاين؟ لا تتعب قلبك وعقلك وتفكيرك، يا انستي، فلست بحاجة لذلك. ستنفذ اتفاقنا الى ان اشعر انه لم يعد مناسباً لي. وبما ان الوقت لم يحن بعد، فعليك مماطلة صديقك لفترة اطول. . . قبل عودتك اليه زحفاً على ركبتيك معفرة الوجه والجبين!

لاحظت تيريزا اقتراب جيمي وفاليري منها، فقالت له هامسة:

ـ يا لك من وحش تافه مغرور، يثير في نفسي الاشمئزاز و. . .

اقترب سكوت منها وامسك بيديها، قائلاً بلهجة العاشق المتسامح:

ـ انتبهي الى ضحكتك وكلماتك، ايتها الخبيثة، وكذلك الى ملامح وجهك و. . .

جلست فاليري في مكانها، فابتسم سكوت باعجاب قائلاً:

ـ الا تعتقدين ان فتاتي تبدو رائعة عندما تحمر وجنتاها خجلاً؟ هذه هي نتيجة الغرام والهيام.

انحنى جيمي امامها، متظاهراً بالجدية البالغة، وقال:

ـ والآن سأبعدها عن سحرك. . . لكي تنعم بسحري وجاذبيتي.

امضت تيريزا فترة طويلة في القاعة المخصصة للرقص، لأنها كانت محط انظار واعجاب مجموعة كبيرة من الشبان. لم تحضر سكوت، ولم تعد ترى ايلاين ايضاً. اقترب منها ديريك ليسألها عما اذا كانت ترغب في شرب فنجان من الشاي معه صبيحة اليوم التالي، فأجابته بانها ستكون منهمكة في امور عدة. تنهد الطبيب الشاب، وقال لها بلهجة صادقة:

ـ تصبحين على خير، يا تيريزا. سوف اسافر بعد غد، باذن الله. اتمنى لك السعادة والسرور، واريدك ان تعلمي ان ثمة رجلاً سيشعر دائماً بالندم لأنه لم يتق بك كما يجب.

قبلها على خدها مودعاً، وتوجه نحو القاعة المجاورة. رفعت تيريزا رأسها فشاهدت سكوت يتأملها بحدة وعصبية. استدارت بسرعة نحو غرفة السيدات، وتوجهت اليها دونما اي تردد او تمهل. ليتصور ما يريد بالنسبة لقبلة ديريك، فهي تعرف الطبيب منذ زمن طويل ولا تحمل له في قلبها اي حقد او ضغينة. كذلك فان قبلة وداع بريئة على خدها هي امر خاص بها دون سواها! فتح الباب بعد لحظات، وسمعت تيريزا صوتاً مألوفاً يقول. . . فيما كانت ايلاين تجلس قربها:

ـ آه، الشابة الجميلة بذاتها! انظري الى شعري. . . بعض الرجال، آه منهم!

لم تعرف تيريزا ما اذا كانت ايلاين تشير الى سكوت ام الى رفيقها دونالد، فلم تعلق بشيء على تلك الجملة. سألتها ايلاين فجأة:
- كيف حال ابنتي مليندا؟ لا شك في انها فتاة كبيرة الآن. هل تشبهني؟
- لا، انها تشبه والدها. . . وكأنها نسخة طبق الأصل.
- يا للطفلة المسكينة! آمل، لمصلحتها هي، في ان يكون لديك حارس امين يحرسك ويحميك. انت تعيشين مع سكوت في منزل واحد، أليس كذلك؟
- هذا شأني.
- سمعتك معرضة للخطر ايتها الخبيثة، ولكني لا افكر بك بقدر ما افكر بابنتي. تصوري مدى تأثير وضع لا اخلاقي كهذا على حياتها ومستقبلها!
- استغرب كثيراً هذا الاهتمام المفاجىء تجاه ابنتك من شخص له تصرفاتك انت، يا سيدة ستوارت. اعني هنا مسألة تخليك عن طفلتك.
هزت ايلاين رأسها وقالت لتيريزا، والسم يقطر من كلماتها:
- يا لك من انسانة مخلصة متفانية! في اي حال، ايتها العزيزة، اود تحذيرك بان الحبيب سكوت قد يجد نفسه فجأة منفصلاً عن ابنته، فالمحاكم لا تقبل بمثل هذه التصرفات!
اشتعل الغضب والخوف في عيني تيريزا وقلبها، وقررت اللجوء الى الكذب. صرخت قائلة بحدة:
- لن يحدث هذا ابداً، فالآنسة ماتيلدا الموجودة معنا منذ فترة طويلة هي افضل مربية في العالم! ثم . . . الم يخبرك سكوت اننا سنتزوج اثناء وجودنا هنا؟
لم تقل لها ايلاين انها تكذب، فتأكد لها نجاح كذبها. بدت الزوجة السابقة اكبر سناً واكثر تعباً وارهاقاً، وقالت:
- هنيئاً لك بالآنسة ماتيلدا، فهي قادرة على تربية الشيطان! اتمنى

لك كل الحظ مع سكوت ميلوارد، لأنك ستكونين بحاجة اليه. . . الى الحظ، لا الى سكوت!

عادت تيريزا الى القاعة، وهي خائفة من المضاعفات التي ستنجم عن كذبها. يجب الاعتراف له بما حدث، ومن الأفضل ان تفعل ذلك عاجلاً وليس آجلاً. يجب ايضاً ابلاغ الآنسة ماتيلدا و. . . ! دعاها سكوت الى الرقص، فذابت بين ذراعيه حباً وحناناً. . . فيما كان صوت الضمير يصرخ بتأنيب وانفعال شديدين. ماذا لو انضمت اليهم ايلاين مجدداً، وتحدثت عن ماتيلدا. . . او عن الزواج المرتقب! اوه! احس سكوت بانزعاجها وانقباض نفسها، فعزا ذلك الى مقابلتها ديريك. اقترح العودة الى البيت، فوافق جيمي على الفور. . . وشعرت تيريزا بارتياح كبير. ابلغها انهما سيزوران الآنسة ماتيلدا صباح اليوم التالي، فقررت تأجيل اعترافها حتى الصباح.

- سكوت، ارجوك! هل يمكننا التوقف هنا بضع لحظات؟ لدي امر هام جداً اريد اطلاعك عليه، قبل وصولنا الى منزل الآنسة ماتيلدا.

توترت ملامح وجهه، وقال لها باستياء ظاهر:

- هيا، اعترفي!

اعترفي! انه يعرف اذن ماذا حدث! ولكنها متأكدة من انه لم يقابل ايلاين بعد حديثها معها! قررت المضي في اعترافها مهما كلف الأمر. قالت:

- صدقني، يا سكوت، انني لم اقل ذلك الا لحمايتكما انت ومليندا.

- تابعي، تابعي!

- قالت ان المحكمة. . . لن تنظر. . . بعين الرضى. . . الى وجودي معك. . . تحت سقف واحد. اضطررت للكذب. . . وحدث ذلك بسرعة وبصورة عفوية. اردت حماية مليندا كيلا يصدر قرار ما. . . بابعادها عنك.

ـ عكسية . . . الكذب . . . ابعاد مليندا عني؟ ارجوك توضيح هذه الأمور فوراً.
ـ تصورت انك تعرف. الم تلمزني بالاعتراف؟
ـ مجرد كلمة تقال. ايتها الحورية. شعرت من لهاثك ان ثمة امراً هاماً يشغل رأسك وتفكيرك. هيا الآن، اخبريني عما حدث بالتفصيل . . . ومنذ البداية.
سمع القصة من اولها، ثم قال لها بعد تفكير عميق:
ـ كيف يمكن للانسان ان يحقد الى هذه الدرجة؟ ألا يعرف الانتقام حدوداً؟ في اي حال، ستؤيد الآنسة ماتيلدا كلامك بكل سرور. كذلك، لا يمكن لأي محكمة ان تأخذ على محمل الجد شكاوى صادرة عن . . . اوه، لننس هذا الموضوع نهائياً تيريزا، هل تقبلين الزواج مني . . . خلال اليومين القادمين؟
ـ هل جننت؟
ـ أؤكد لك بانني اتمتع بكامل قواي العقلية.
ـ دع الشهامة جانباً ، يا سكوت.
ـ ليس للشهامة اي علاقة بالموضوع. هل تقبلين، يا تيريزا؟
ـ هل تعرف انك لست ذكياً، كما كنت اتصورك؟ كان عليك توجيه هذا الطلب امام اشخاص آخرين، كي يسجل رفضي علناً ويشعر ضميرك بالراحة والاطمئنان. اما بالنسبة للكلام المتسرع الكاذب الذي قالته امس لايلاين . . .
قبض على ذراعيها بيدين فولاذيتين، وهو يقاطعها قائلاً:
ـ سوف تصدقين اتفاقنا حتى النهاية، وستكون العزيزة ماتيلدا اول المهنئين بزواجنا الذي سيتم بعد غد باذن الله!
ـ اتركني . . . اتركني، يا سكوت ميلوارد!
ـ انت محقة تماماً بما قلته لايلاين. اذا تزوجنا، فلن يعود هناك اي سبب لابعاد مليندا عنا. وعليه، فانت الآن ملزمة بتنفيذ اعلانك عن زواجنا المرتقب.

ـ انت مجنون! اين المشكلة اذا تركتك فجأة، واختفيت من حياتك . . .
ـ وتتركين رجلاً مسكيناً مثلي في وضع لا يحسد عليه؟ اوه، لا يا عزيزتي، تذكرين لن تقبل ابداً بمثل هذا الاذلال. ثم . . . من سيعتني بمليندا بعد ذهابك؟
ـ انت بحاجة لمديرة منزل، وليس الى زوجة. اتركني، يا سكوت، ارجوك!
ـ حسناً، اتفقنا. سوف تظلين معنا كحارسة امينة لمليندا . . . ومديرة منزل متزوجة، مني انا طبعاً. لن تتمكن الست السوء بعد ذلك من التفرقة بيننا بأي شيء مزعج. هيا الآن لنقابل الآنسة الست!
امضى وقتاً ممتعاً للغاية مع تلك السيدة المرحة، ثم استعدا للعودة، سارت معهما حتى السيارة، ثم رفعت يدها مودعة عندما ادار سكوت المحرك وتهيأ للانطلاق. اوقفها لحظة، وقال:
ـ سنتصل بك فاليري لابلاغك التفاصيل الضرورية. انت مدعوة، ايتها العزيزة الغالية، لحضور حفل زواج . . . زواجنا انا وتيريزا! الى اللقاء.
استقبلتها فاليري بابتسامة، وهي تقول:
ـ ما بك تنظرين الي هكذا بذهول، ايتها العزيزة؟
ـ اعتقد انني سأتزوج بعد غد، يا فاليري.
ـ تعتقدين؟ هيا ادخلي بسرعة، يا صغيرتي، قبل اصابتك بانهيار عصبي؟
اخبرتها تيريزا عن قرار سكوت، ولكنها لم تذكر شيئاً بالطبع عن الجدل الحاد الذي نشب بينهما خلال الحديث عن موضوع الزواج . . . والحب. ضحكت فاليري، وقالت:
ـ عندما يقرر سكوت ميلوارد شيئاً، فمن المؤكد انه سيتم. هل كنت تعرفين هذا الأمر امس، يا عزيزتي؟
ـ لا، فقد تحدثنا . . . تحدثنا عن هذا الموضوع ونحن في طريقنا

الى منزل الآنسة ماتيلدا.

امضت الصديقتان طوال فترة ما قبل الظهر في الاعداد للزواج المرتقب، ثم دخلتا الى احد المطاعم وطلبتا قطعتي حلوى وفنجانين من الشاي البارد. وبعد فترة قصيرة، طلبت فاليري من تيريزا انتظارها بعض الوقت كي تذهب لاحضار ساعتها... وكان هدفها الحقيقي ابتياع هدية زواج. وما هي الا دقائق معدودة، حتى سمعت ديريك يسألها بتأدب واحترام:

ـ هل تسمحين لي بالانضمام اليك، يا تيريزا؟

هزت رأسها موافقة، فمضى الى القول:

ـ انا مسرور جداً بمقابلتك مرة اخرى. هل لي ان اسألك، كصديق، عما تفعلينه هنا؟ هل تمضين اجازة، ام انك تعملين كممرضة؟

ـ بلغتك لي رسالتي اني كنت اقيم مع ماري ودان.

ـ كنت تقيمين معهما؟ اين انت الآن اذن؟

ـ سوف اتزوج غداً، واعود بالطبع مع سكوت الى بيته...

ـ غداً؟ لم تذكري شيئاً من هذا القبيل امس الأول.

ـ لم اكن اعلم... اعني... لم اتصور ان الأمر يهمك، يا ديريك.

تأملها فترة طويلة، وكأنه يريد الدخول الى اعماق تفكيرها، ثم قال:

ـ هل انت متأكدة تماماً من سلامة هذا القرار؟ لا تقدمي على اي خطوة بالغة الأهمية كهذه بدون التفكير بها ملياً، والتأكد من حقيقة مشاعرك تجاهها.

ـ اشكرك على اهتمامك بي، يا ديريك، ولكنني متأكدة تماماً من صحة قراري.

وضع يده على يدها برقة وحنان، ثم قال:

ـ دعني تسرعي الى قضائك، وسوف اندم على ذلك طالما حييت.

علمني هذا الخطأ درساً يعرفه كل طبيب، ولكنه لا يمارسه في حياته الخاصة... عدم التسرع في استخلاص الاستنتاجات واصدار الاحكام.

ـ التشخيص الطبي شيء، والعواطف شيء آخر، ايها الطبيب العزيز. ثمة حقيقة بسيطة وواضحة، وهي انك لم تكن تحبني حقاً.

ـ والآن... وجدت حبك الحقيقي، أليس كذلك؟ لم تشعري نحوي بأي حب حقيقي، يا تيريزا، والا لكنت انتظرت... وغفرت. لنقل ان عزة النفس وحدها هي التي اصيبت.

فتحت تيريزا فمها لترد على كلامه، ولكنها سمعت سكوت يقول ببرودة:

ـ ويقال ايضاً ان الحب الحقيقي لا يأتي الا بعد عذاب مرير!

ـ هذا صحيح، يا سيد ميلوارد. انا الخاسر وانت الرابح، فهنيئاً لك بها. عاملها بحسن ورقة، فهي تستحق كل سعادة وهناء.

... وخرج ديريك من حياتها، الى الأبد! قال سكوت بتهكم:

ـ يا له من موقف حزين!

ـ لم افكر حتى بدعوته الى فنجان شاي، او...

ـ انه لأمر محزن حقاً! هل ثمة لقاءات اخرى في الافق؟

ـ دع الغيرة جانباً، ايها السيد، فلن تساعدك بشيء. لم اتوقع حضورك بمثل هذه السرعة...

ـ ولهذا السبب سمحت لنفسك بالانفراد به.

لم تدعه ينهي جملته القاسية، وقررت الرد عليه بسلاح مماثل. قاطعته قائلة بغنج ودلال:

ـ اعذرني، يا سكوت، ولكنني لم اتمكن من مقاومة هذا الاغراء القوي.

ـ انت خبيثة جداً، يا تيريزا ستانتون، ولا اصدقك...

وصلت فاليري في تلك اللحظة، ورمت نفسها على المقعد المجاور قائلة:

ـ مرحباً يا سكوت. آسفة، يا تيريزا، على هذا التأخير. ارجو الا . . . ماذا تفعل هنا، يا زوجها المقبل؟

ـ احافظ على حاضري ومستقبلي.

طلبت فاليري من زوجها في مستهل السهرة ان يأخذ سكوت الى النادي، او الى اي مكان آخر. واضافت بشيء من العصبية:

ـ ما بالكم؟ هل نسيتم جميعاً التقاليد المتعارف عليها؟ الا تعرفون ان على الرجل الا يرى عروسه في الليلة التي تسبق الزواج؟

حاولت تيريزا الاحتجاج، ولكن فاليري بددتها عن ذلك بحزم واصرار. قام جيمي عن كرسيه، وقال بتردد:

ـ يستحسن حقاً، ايها الصديق العزيز، تنفيذ اوامر زوجتي الجميلة والذكية. هيا لنجمع الشبان ونقضي سهرة رجالية . . . نحتفل خلالها الحداد الوقت على حريتك التي ستقيدها غداً بسلاسل لا يمكن تحطيمها.

ـ لالا، ايها الرجل المطيع لزوجته! هل تعرف اني لم اتبه الا الآن الى المصير الذي ينتظرني؟

ابتسمت تيريزا بدهاء، وقالت بلهجة لم يشعر بسخريتها احد سواه:

ـ الم تكن انت، يا حبيبي، صاحب فكرة التسرع هذه؟

اقترب منها حتى كاد فمه يلتصق بخدها، وقال بلهجة مماثلة:

ـ هل تريدين الآن تذوق سبب تسرعي، ايتها الحبيبة؟

هبت تيريزا من مكانها وغادرت الغرفة على عجل، قائلة بلهفة:

ـ يبدو ان مزيداً تناديني، فاعذروني.

انضمت اليها فاليري بعد ذهاب الرجلين، وامضت معها بعض الوقت في حديث عن . . . الحدث المرتقب. ثم ودعتها، قائلة بحنان ظاهر:

ـ تصبحين على خير، ايتها العزيزة. نامي ملء عينيك، ولا تحاولي النهوض باكراً. سوف اتشرف باحضار فطورك الى هنا، فهذا

اقل ما يمكنني القيام به للعروس الحلوة.

ظلت تيريزا مستيقظة معظم ساعات الليل، وهي تحاول تحليل الخطوات السريعة والمتلاحقة التي حدثت معها منذ حضورها . . . لزيارة . . . ماري وداد. يا لها من زيارة، وما ترتب عنها من مضاعفات ونتائج!

كانت الساعة تقارب الثانية من بعد منتصف الليل، عندما سمعت صوت محرك سيارة، فتأكد لها ان الرجلين عادا من سهرتها التي ودع فيها سكوت . . . حريته! وضعت الوسادة على رأسها بعصبية بالغة، واغمضت عينيها . . . حتى الصباح.

٩ـ ليس بدون حب . . .

جرت مراسم الزفاف بصورة هادئة وعادية، وكان السرور بادياً على وجوه الجميع . . . باستثناء تيريزا. فقد شحب لونها وارتعش جسمها عندما ألبسها سكوت خاتم الزواج، وقبّلها.

أقام جيمي وماري حفلة للعروسين، اقتصر فيها الحضور على عدد قليل من الأصدقاء المقربين. قالت صاحبة الدعوة لضيف الشرف:

ـ لقد أذهلتني، يا سكوت. اخبرتني تيريزا أنكم ذاهبون مباشرة الى وندهيوت . . . أليس الوقت متأخراً؟ كيف ستذهب خلال الليل مع عروس وطفلة ومربية مسنة؟

ـ مهلاً، مهلاً، أيتها العزيزة، فكل شيء على ما يرام. لن نقضي الليل هنا بالتأكيد، وخاصة لأن أبواب غرفكم لا يمكن اقفالها من الداخل، ساعدني زوجك الشهم على ايجاد مكان صغير حالم بين

التلال القريبة، يناسب . . . المتزوجين حديثاً. سنعود في وقت مبكر لنأخذ مليندا والآنسة ماتيلد.

تنهدت تيريزا وهي تستعيد ذكريات الأحاديث التي تبادلتها معه، فقال لها:

ـ هل يعقل انك تشعرين بالملل والضجر، يا سيدة ميلوارد، في مثل هذا اليوم الذي تعتبره الفتيات أحلى أيام حياتهن؟

ـ لا اشعر بالضجر اطلاقاً، يا سكوت، ولكني متعبة بعض الشيء.

ـ لم يعد يفصلنا من الفندق، سوى مسافة تقل عن عشرة كيلومترات. سوف نتناول عشاء طيباً على ضوء الشموع، ثم . . . تأخذين حماماً ساخناً يساعدك على النوم براحة وسكينة، والنهوض باكراً لمتابعة رحلة العودة.

كان صوته خالياً من أي سخرية أو تهكم. فشعرت تيريزا بالارتياح وقالت له بعفوية بريئة:

ـ اني حقاً جائعة.

ـ وانا أيضاً. ما رأيك بسمكتين كبيرتين لكل منا اثناء العشاء؟

ـ أوه، عظيم! هل تحب صيد الأسماك، يا سكوت؟

ـ الى حدّ كبير، ولكن المناسبات قليلة ومتباعدة. سافرت مرة مع بعض الأصدقاء حتى بورنيو لكي نصطاد السمك.

ـ أوه، انها بالتأكيد منطقة رائعة . . . وخاصة جزيرة الحب التي أمضى فيها دان وماري شهر العسل.

ـ قد نذهب اليها يوماً ما، لنعرف اذا كانت تستحق هذه التسمية أم لا.

ـ لست مهتمة بذلك الى درجة كبيرة. فأي مكان سيكون رائعاً اذا كنت . . . عندما نكون . . .

ـ عاشقاً؟ ولكنك انت لست عاشقة، وهذا هو سبب عدم اهتمامك. ها هو فندقنا.

أوصلهما الموظف المسؤول الى غرفة كبيرة وتمنى لهما ليلة هانئة وسعيدة، ثم تركهما واغلق الباب وراءه. احمر وجه تيريزا خجلاً وحياء وهي تنظر الى السرير المزدوج، ولكن سكوت فتح باباً داخلياً وقال:

ـ تعالي لأريك غرفتي المتواضعة، التي لا تضمّ الّا سريراً واحداً. أين العدل والانصاف! اذا تعبت من جانب، فيمكنك الانتقال ساعة تريدين الى الجانب الآخر... في حين أنّ المسكين سكوت مضطر للنوم في مكان واحد طوال الليل.

أراحتها كلماته الرقيقة المرحة، فخفّ الاحمرار من خديها وعلت ثغرها ابتسامة ناعمة تدل على الشكر والامتنان. قالت له:

ـ سأذهب الآن للاغتسال.

ـ لا داع لاستبدال ثيابك بعد ذلك، يا جوهرتي الثمينة. يجب الا نبدو كعروسين، كيلا يستغرب البعض سبب وجود غرفتين. سنجد صعوبة بالغة فيما لو اضطررت للقول ان عروسي شابة خجولة جداً، لذلك عليهم بطلبون عوضاً عن ذلك ان زوجتي العزيزة لا تحب غطيطي.

ـ وهل تفعل ذلك، ايها الزوج العزيز.

تناولا عشاء شهياً للغاية ثم انتقلا الى بهو الفندق، حيث انضم اليهما المالك الذي تربطه بجيمي ماران صداقة متينة. قدم لهما قالباً صغيراً من الحلوى، وراح يحدّثهما عن كيفية وصوله الى هذه المنطقة وتأسيسه هذا الفندق الصغير. استمتعت تيريزا كثيراً بحديث الرجل المسن، ولكنها انزعجت بعد قليل عندما نظر سكوت الى ساعته وقال:

ـ اننا مضطران لمغادرة الفندق في ساعة مبكرة، وعليه سوف ننام خلال فترة قصيرة. اصعدي الآن، يا حبيبتي، وسألحق بك بعد قليل.

ارتدت ثياب النوم وسرحت شعرها، ثم اختارت الجانب الأيمن من السرير... لأنه الجانب الابعد عن الباب الداخلي. سمعت صوتاً في الخارج، فقفزت بسرعة الى الفراش وغطت نفسها حتى

العنق. تسارعت دقات قلبها عندما سمعت طرقة خفيفة على الباب، وسكوت يقول لها بصوت ناعم:

ـ تيريزا؟ سأدخل الآن.

انتظر بضع لحظات ثم دخل الى الغرفة، ليواجه بعينين زرقاوين تنظران اليه بخوف ووجل. جلس على حافة سريرها، وقال يائساً:

ـ هل اشعل لك سيكارة، أيتها الارنبة المذعورة؟

عقد لسانها، فلم تتمكّن الّا من التحديق به وهز رأسها نفياً. اشعل سيكارته وراح ينفث دخانها ببرودة قاتلة، بدون التفوّه بكلمة واحدة. وبعد قليل، نهض من مكانه فجأة ثم قال:

ـ نامي بدون خوف، يا أرنبة ميلوارد الصغيرة، فالثعلب لن يذهب الى الصيد هذه الليلة... مع أنه يحمل في جيبه اجازة قانونية للقيام بذلك!

تململت وتقلبت في سريرها، وتصارعت الافكار والعواطف في عقلها وقلبها. خافت من احتمال اقدامه على مغازلتها ومداعبة مشاعرها، ولكن قلبها كان يتمنى ذلك بكل قوة... ويريد حبه الذي لم يظهر منه اي شيء حتى الآن. احست بالخجل والألم، يا له من حب حزين! قبّل عروسك، يا سيد ميلوارد المهذب، وتمنّ لها ليلة سعيدة وبريئة. اللعنة عليك، يا سكوت ميلوارد!

تصوّرت انها لم تنم سوى فترة قصيرة جداً، عندما سمعت نقرة خفيفة على الباب وشاهدت الخادم يدخل ومعه اطباق الفطور والشاي. دخل سكوت من الباب الداخلي بكامل ثيابه واناقته، وشكر الشاب الرزين على احضاره الطعام. ابتسم لها بعد مغادرة الخادم للغرفة الرئيسية، وقال:

ـ اسعدت صباحاً، أيتها الزوجة العزيزة. اشعر بالأسف الشديد لايقاظك في مثل هذه الساعة المبكرة، ولكننا مضطران لذلك.

حمل لها العباءة الجميلة التي ترتديها فوق ثياب النوم، فأحست بأنها مرغمة على الخروج من سريرها لارتدائها... ثمّ يربط الحزام

حول خصرها، فأبعدت يديه بعصبية قائلة:

ـ شكراً، سأفعل ذلك بنفسي.

ـ أوه، لم أسمع منك حتى تحية الصباح، أيتها العزيزة. لا تخافي، فسوف أتعلّم بسرعة أنك لست من النوع الذي يكون مرحاً بمجرد النهوض من الفراش.

ـ أسعد الله صباحك، يا سكوت. اعذرني، فعقلي على ما يبدو لا يزال نائماً.

أتعبها شعرها الطويل وهي تحاول صب الشاي في الفنجانين، فقالت:

ـ أول شيء سأقوم به بمجرد عودتنا، هو قص هذا الشعر المزعج.

ـ لا، لن تفعلي ذلك إطلاقاً! إنه رائع، ويعجبني كما هو الآن. هكذا أحب شعر نسائي، فاتركيه على حاله!

ـ توقف عن إصدار الأوامر والتصرّف على هذا الشكل المتسلّط، يا سكوت ميلوارد، لأني لا أقدر على تقبل هذه الأمور في مثل هذا الوقت المبكر. اشرب الشاي الآن قبل أن يبرد.

ثم شربت جرعة من فنجانها، وأضافت ببرودة متعمدة:

ـ أنا لست إحدى نسائك، يا سكوت.

ـ استغرب هذا التصريح وأرفضه رفضاً قاطعاً. فمنذ يوم أمس، أنت لي بكل ما لهذه الكلمة من معنى. . . قلباً وقالباً.

تثاءبت بغنج بحمل في طياته الكثير من التحدي، وقالت:

ـ ملكية منقولة ومتحركة؟ إن لم تخرج الآن من هنا بسرعة البرق، فسوف أقفز ثانية إلى هذا السرير ولن تتمكن أي قوة في العالم بعد ذلك من تحريكي!

توجّه سكوت بهدوء نحو الباب، ثم قال لها مازحاً قبل خروجه:

ـ بما أنك أصبحت من ممتلكاتي، فلي ملء الحق والحرية لنقلك من أي مكان إلى آخر وفقاً لمشيئتي ورغباتي. وعليه، فسوف أنقلك من هنا خلال عشرين دقيقة!

عادا إلى منزل جيمي وفاليري، فوجدا الجميع بانتظارهما. كانت الآنسة ماتيلدا، التي نامت تلك الليلة في سرير تيريزا، واقفة على الشرفة ومعها كافة الحقائب والأغراض. ركضت مليندا نحوهما لالقاء التحية وأنظارها بجيل الصباح، ثم سألت والدها:

ـ اين كنتما، يا أبي؟ هل امضيتما الليل بكامله في مكان آخر؟

ـ نعم، يا حلوتي الصغيرة، نعم.

ـ هل أخذت تيريزا معك لأنكما تزوجتما؟

ارتبك سكوت قليلاً واحمرّت وجنته إلى حد، وهز رأسه على ابنته بالإيجاب. ضربت الصغيرة قدمها في الأرض، وقالت له ببراءة الأطفال:

ـ سأتزوج أنا أيضاً من تيريزا، حتى تضطر في المرة المقبلة لأخذي معكما.

ابتسمت الآنسة ماتيلدا، وسألتها بمودة وحنان:

ـ وماذا سيحلّ بي أنا، يا مليندا؟

رفعت مليندا رأسها باسمة، وكأنها اكتشفت الحل النهائي لمشكلة عائلية مستعصية، وقالت:

ـ ستتزوجين بي، ويمكنك بالتالي مرافقتنا إلى حيثما نذهب.

داعب سكوت شعر ابنته بمحبة ومرح، ثم قال:

ـ سيكون ذلك زواجاً فريداً من نوعه!

ابتسمت تيريزا بمكر، وهمست في أذنه ممازحة:

ـ من سيمنعك من في مثل هذه الحالة، أيها العزيز؟

ـ أم من النساء؟

كان الوداع مؤثراً، بالنسبة إلى السيدات الثلاث والطفلة الصغيرة. شكر سكوت وعائلته الجديدة الصديقين جيمي وفاليري على حسن ضيافتهما، وتمنى الزوجان للعروسين حياة سعيدة وهادئة وللجميع رحلة موفقة.

تناول أفراد عائلة ميلوارد وصديقتهم الآنسة ماتيلدا طعام

الغداء، بعد ثلاث ساعات من مغادرتهم منزل عائلة دارتن، ثم تابعوا طريق العودة الى ويندكوت. وفيما غطت السيدة المسنة وصديقتها الصغيرة في نوم عميق على المقعد الخلفي، راح سكوت يحدث تيريزا عن المناطق التي يمران فيها والمشاريع المقرر تنفيذها. ثم اخبرها عن نوع من الاسماك يعتبر الهدف المنشود لكبار صيادي السمك في كل مكان، مضيفاً أن هذا النوع يعيش في واحدة من اكبر البحيرات الاصطناعية في العالم. ووعدها بأن يأخذها يوماً ما الى تلك المنطقة، التي يمكن الوصول اليه براً وبحراً وجواً.

الا تعني هذه الوعود انه مرتاح لوجودها في ويندكوت الى أجل غير مسمى؟ حضنت تلك الفكرة بحنان وعناية، معاهدة قلبها على تحقيق أحلامه بطريقة أو بأخرى... عاجلاً أم آجلاً. شعرت بسعادة كبرى عندما بان البيت، وأحست انها تعلا في طريقها... الى بيتها. نعم، الى بيتها الزوجي... والى عائلتها الجديدة. وبدا أن الجميع يشاطرونها هذا الشعور. لمعت عينا ماتيلدا فرحاً، وصرخت ماينا ببهجة وسرور لمجرد مشاهدتها كلبو.

عمت الفرحة جميع أرجاء البيت، عندما علم العاملون فيه أن رب عملهم تزوج الآنسة تيريزا. ولكن كلبو شعرت باستياء بالغ، عندما أبلغتها السيدة الجديدة بحزم واصرار أنها لن تتخلى عن غرفتها السابقة للانتقال الى غرفة السيد. هل هي عادات الجيل الجديد؟ هل هو التقليد الشائع في العصر الحديث؟ تمتمت العجوز بكلمات مبهمة وأخذت الفتاة الصغيرة الى الحمام ومنه الى غرفة نومها. وفيما كان سكوت يتناول العشاء مع صديقته ماتيلدا و... عروسه، توقفت تيريزا فجأة عن الأكل وشهقت قائلة:

ـ ماري ودان!

ـ وما بهما، ماري ودان؟

ـ ماذا... ماذا ستقول لها... عنا؟ أوه، ربّاه، ماذا سأفعل... ماذا سأقول؟ ماذا سأقول لماري؟ انها صديقتي المفضلة

و...

تنهّد سكوت بارتياح، وقال لها:

ـ تصوّرت للحظة انك ستصابين بنوبة عصبية. لا تفعلي ذلك مرة اخرى، يا تيريزا. هل انت خائفة من ردة فعل دان وماري، عندما تخبريهما عن زواجنا؟

ـ اوه، سكوت! انت الذي ستخبرهما، لأن ماري ستقتلني حتماً اذا أنا أبلغتها النبأ. كانت دائماً أول شخص أطلعه على أسراري وعواطفي... لم أزعج نفسي هذه المرة حتى بارسال برقية... لم نفصح لها أيضاً عن الترتيبات المؤقتة... أعني... أعني خطوبتنا. ماذا سأفعل؟

ـ اهدئي، يا فتاة، وسيطري على أعصابك. لا يمكننا الاختباء وراء مكالمة هاتفية، بل علينا مواجهة الأسد في عرينه.

ـ الآن؟ لا، لا يمكنني ذلك... أرجوك يا سكوت...

ـ بلى، يا عزيزتي، ستنهي العشاء اولاً ونتوجّه على الفور. ستغفر لنا ماتيلدا هذا التصرّف المستهجن، أليس كذلك؟

هزّت ماتيلدا رأسها بحنان وتعاطف، فيما مضى سكوت الى القول:

ـ يمكنك الاختباء وراء ظهري القوي العريض عندما أعلن النبأ، او بالأحرى عندما ألقي القنبلة.

ابتسمت ماتيلدا وقالت لهما:

ـ هيا اذهبا، فميلندا ستكون معي بألف خير. في أي حال، سيغتنم سكوت كل فرصة متاحة له للانفراد بعروسه الجميلة اللطيفة... سوف أحاول أنا اخفاء نفسي قدر المستطاع لافساح كافة المجالات امامكما، لتظاهرا بأني غير موجودة هنا.

دخلت تيريزا بتردد بالغ قاعة الاستقبال في منزل صديقتها، فهبت ماري من مكانها لمعانقة صديقتها والترحيب بها، قائلة:

ـ كم أنا سعيدة بمجيئكما معاً. لم أتوقع مشاهدتكما بمثل هذه

السرعة. هل تمتّعت بالرحلة، أيتها الحبيبة؟ يبدو أنك متعبة الى حدٍّ ما، وبحاجة الى فترة من النقاهة. لا شك في أنكما امضيتما أوقاتاً رائعة، أليس كذلك ايها الصديق العزيز؟

- رائعة... من الافضل...

استغرب دان ارتباك جاره وصديقه، وقال:

- مهما كان الأمر، فأنتما الآن هنا ونحن سعيدان جداً برؤيتكما. اجلسا، كي نشرب معاً فنجاناً من القهوة الطازجة المنعشة.

- كانت حقاً... رحلة... عظيمة للغاية... لأننا... أمضي... تيريزا وأنا...

توقف سكوت عن متابعة الكلام، فتحوّل استغراب دان الى ذهول. ماذا جرى مع هذا الرجل القوي الشخصية والمتحدّث اللبق، لكي يرتبك ويتلعثم على هذا النحو الذي لا يصدق؟ نظر الى تيريزا مستفسراً، فاقتربت بحركة لا شعورية من زوجها وقالت:

- لقد تزوجنا.

حدّق كل من دان وماري روورك ببعضهما، وكأنهما يشاهدان اشباحاً او احلاماً مزعجة. ثم تأملتهما ماري بعض الوقت، وقالت متنهدة:

- هل انتهت النكتة؟

استعاد سكوت سيطرته على اعصابه ولسانه، وقال لها:

- لم تكن نكتة، يا ماري. هيا ابتسمي بسرور وقدّمي لنا التهنئة... ولو على سبيل المجاملة فقط. كانت تيريزا مذعورة من ردة فعلك على هذا النبأ، وطلبت مني ابلاغك الأمر. ومع ذلك، فقد فاقتني مقدرة وشجاعة اثناء المواجهة الحقيقية.

ابتسم دان وقال لزوجته:

- لا، أيتها الحبيبة، لم يصب أيّ منهما بالجنون أو بضربة شمس. يبدو أننا سمعنا الحقيقة، فخجلهما يؤكد صحة كلامهما.

أمسك يد سكوت مصافحاً وقبّل تيريزا على خدها، ثم قال لها

بلهجة عاطفية جداً:

- اتمنى لكما حياة سعيدة.

حذت ماري حذو زوجها، فقالت:

- اعذراني، فقد حدث كل شيء بسرعة مذهلة. لم أكن احلم ابداً... لم أكن لأتمنى لكما أفضل مما حققتماه الآن. امنحاني بعض الوقت لاستعادة انفاسي... أوه، تيريزا، لا تقلقي ابداً من ردود الفعل... السلبية والسخيفة التي صدرت عنا. اراهن انك أنتِ ايضاً فوجئت مثلنا بقرار الزواج، فالسيد سكوت ميلوارد معروف بقراراته السريعة والحاسمة!

انزلها سكوت امام باب المنزل، وتابع طريقه حتى المرآب الكبير الذي يتسع لأكثر من خمس سيارات. أطفأ محرك سيارته وأنوارها وعاد بسرعة الى البيت، ليفاجأ بوجود تيريزا داخل غرفتها وقد أغلقت الباب. تردد برهة من الوقت، ثم ذهب الى غرفته وراح يشعل سيكارة تلو الأخرى... حتى الفجر.

مضت ثلاثة أسابيع على زواجهما بدون حدوث اي شيء يذكر في نمط حياتها، التي اختارت له تيريزا نمطاً معيناً يقضي بتجنب الاقتراب منه او الانفراد به قدر المستطاع. وزعت ساعات اليقظة كلها بين مليندا والأعمال المنزلية والحديقة، ولم تترك لنفسها ساعة فراغ واحدة تفادياً لأي اتصال محتمل معه. تعذّبت، تألمت، تلوعت، وسهرت بعض الليالي متشنجة الأعصاب لدرجة تدفع الضعفاء الى حافة الجنون. ولكنها قوية، وسوف تقاوم حتى النهاية... حتى يحبها... ويريدها كنتيجة للحب الطاهر الصادق.

قال لها في اليوم الخامس والعشرين انه ذاهب الى احدى المدن القريبة، وسألها عما اذا كانت بحاجة الى أي شيء من المحال التجارية الموجودة هناك. خجلت من الافصاح عن رغبتها امام مليندا، فشكرته قائلة ان لديها كل ما تريده. ولكنها تشجعت بعد ذهاب السيدة المسنة الى النوم، وانضمت الى زوجها في قاعة

لاستقبال حيث قالت له بتردد:

ـ هل يمكنك، يا سكوت، شراء ستائر جديدة لهذه القاعة؟ الستائر الحالية ثقيلة الوزن الى درجة كبيرة، ولا يحركها بالتالي الا هواء قوي للغاية.

رفع سكوت نظره عنها وتأمل الستائر. فسارعت الى القول:

ـ اذا كانت تعجبك، فلا لزوم لاقتراحي واعذرني عن هذا التدخل في شؤون منزلك.

اقترب منها كثيراً وقال لها:

ـ منزلي هو بيتك، يا ناتالي العزيزة، أم انك نسيت ذلك؟ لا تسمح بأي توتر اعصاب كلما أردت التقدم الى بطلب أو ذاك، كما أنني اريد منك اطلاعي على كل الاشياء التي لا تعجبك انت... زوجتي، ولديك كل الحق في ذلك. هل نسيت انك زوجتي، ايتها العزيزة؟

ـ مرات عديدة، يا سكوت. أشعر كأنني عرضة ومديرة منزل لا تقبض اجراً.

ـ هل ينقصك شيء؟ يا للغباء! لم افكر أبداً بانك قد تكونين بحاجة الى ثياب جديدة أو... او اي أمور أخرى تخصّ السيدات.

ثم أمسكها بذراعيها، وسألها بانفعال لم تعرف ما اذا كان نتيجة غضب أو شعور بالذنب:

ـ اخبريني، يا فتاة، هل انت مستاءة من وضعنا الحالي؟

ـ هل هذا هو شعورك أنت، يا سكوت؟

ـ لا تحاولي التملص من الاجابة!

لم تجبه، فضمها بقوة بين ذراعيه وقال:

ـ ما هي الأمور التي يتحتم عليَّ القيام بها لاسعدك... لأجعلك تشعرين كزوجة؟ هل ابتاع لك ستائر جديدة أو... ربما...

لم يتم جملته، بل رفع ذقنها وعانقها بشوق... ذابت بين ذراعيه عشقاً وهياماً، ولكنها أرغمت نفسها وعقلها على التذكر انَّ هذا

الرجل لا يحبها! هذا هو أسلوبه في محاولة اسعادها...

ـ لا، يا سكوت، لا!

ـ بلى، يا حبيبتي، بلى. لا تكوني عنيدة الى هذه الدرجة، مع ان عنادك ساحر ومغر. انت تريدينني بالقدر ذاته الذي أريدك فيه... أنت زوجتي وانا بحاجة اليك

كانت ضائعة... غارقة حتى قمة رأسها في بحر الحب، ولكنها لاحظت مع ذلك انه لم يتحدث مرة واحدة عن الحب، وربما... يختلج اليها، الا انه لا يحبها! قلها مرة واحدة، يا سكوت ميلوارد، وخذ مني حياتي! ناشدت قلبها ان يفعل ذلك، ولكنه لم يقل تلك الكلمة السحرية الرائعة... أحبك. انخفض الارتعاش والدفء من قلبها، فلاحظ سكوت التحول المفاجئ، وسألها:

ـ ألست راضية؟

ـ بدون حب؟ لا، لا يمكن!

وانتظرت مرة اخرى تلك الكلمة التي تتحرّق لسماعها، ولكنه قال لها عوضاً عن ذلك... وبلهجة ساخرة:

ـ انه حقاً لأمر مؤسف، اليس كذلك؟ هل يمكنني الآن ان الحصول على جواب لسؤالي؟

ماذا تريدين او تحتاجين لتصبحي سعيدة؟

ـ ستائر جديدة!

ـ بما انه يصعب الحصول على شيء، فلا بد لنا من الاكتفاء بالآخر... الستائر!

ثم ادار ظهره لها، قائلاً بلهجة تنمّ عن عدم رغبته في متابعة الحديث:

ـ سجلي لي على ورقة صغيرة بالقياسات المطلوبة و... وما شابه ذلك.

ـ حسناً، يا سكوت. تصبح على خير.

ارادت بعد ساعات قليلة من ذهابه الاحتفاء بنفسها... بعيداً

عن الآخرين... وقريباً من الطبيعة. طلبت من الآنسة ماتيلدا الاعتناء بطفلتها، ثم ركبت الحصان فروست وانطلقت به نحو... البراري. توجهت بعد ذلك إلى منزل صديقتها ماري، فوجدتها تعمل في غرفة النوم. أصرّت تيريزا على البقاء معها ومساعدتها، فقالت لها ماري:

- حسناً، أيتها العزيزة، يمكنك البدء بملابسي. ماذا تفعلين حالياً بثيابك. هل حولت غرفتك الملحقة إلى غرفة للملابس؟ أعرف أن غرفة سكوت كبيرة جداً، ولكن خزائنه ليست كافية... تيريزا، تيريزا، لماذا تبكين يا حبيبتي؟

لا، لم تعد قادرة على إخفاء الحقيقة عن أفضل صديقاتها. أخبرتها القصة منذ البداية... حبها له، الخطوبة الوهمية، وكافة الأحداث التي تلت ذلك. ختمت حديثها بالقول:

- أحبه حتى الجنون، يا ماري، وأتألم كثيراً عندما أكون قربه. هل أتركه... أم أبقى معه، ومع الأمل الضعيف؟

وضعت ماري ذراعها بحنان حول كتفي صديقتها المعذبة، وقالت:

- هل فكرت بالسبب الحقيقي الذي حمله على الزواج منك؟ أليس من المعقول جداً أن الرجل يحبك؟ إنه إنسان قوي الشخصية ولا يمكن له أن يخاف من إيلاين، أو من الفضيحة، لدرجة ترغمه على الزواج من أحد. أتصور أنه يحبك، يا تيريزا، ولكنه يجد صعوبة بالغة في إظهار حب عبر القشرة القاسية من السيطرة الذاتية التي بناها حول نفسه... منذ وقوعه ضحية لرهانه مع إيلاين. أعطي هذا العاشق للوقت، وستجدين بالتأكيد قلباً عاشقاً ودافئاً وكريماً. هذا هو سكوت الذي أعرفه...

- لا، إنه رجل متكبر ومغرور... ويظن أن بإمكانه السيطرة على أي فتاة بمجرد عناقها!

- هل هو هكذا حقاً، يا تيريزا؟

- لا... نعم... لا أدري! إنه كل شيء... شيطان رائع... وحش حنون... وأنا أحبه، أحبه حتى الجنون... وهو لا يحبني! إنه الآن مع إيلاين و...

- أعتقد صراحة أن هذا الموضوع يجب ألا يقلقك إطلاقاً. لقد انتهى أي حب لإيلاين بعد تخليها عن ماتيلدا. يتحتم عليك بالتالي القيام بخطوات هامة تحمله على إفشاء أسراره... لإظهار حقيقة مشاعره، وإلا فإنك ستواجهين دائماً حائطاً منيعاً في وجهك وستظلين عاشقة معذبة!

- لن أقدم أبداً على خطوة كهذه، لأنها لن تفيدني أبداً. فماذا يحدث مثلاً عندما أكتشف أنه لا يحبني؟ لا شيء أبداً سوى المزيد من العذاب والألم، لأن حبي له لن يموت أو يخف.

- وإذا اكتشفت أنه يحبك؟

- سأكون أسعد إنسانة في الدنيا، ومع ذلك فلن أتصرف إلا بطريقة طبيعية وعادية لأني سئمت الخداع والغش والمراوغة. شكراً لك، يا ماري، على هذا الصبر العادي، والتشجيع. أشعر الآن بتحسن كبير، وخاصة لأني أخبرتك كل شيء... يا أحسن صديقة في العالم.

بمجرد عودتها إلى البيت، رن جرس الهاتف وفاجأتها جوديا بالقول:

- تيريزا، أنا الآن شابة مخطوبة!

- ألف مبروك. كنت أعرف ذلك منذ بعض الأيام...

- انتظري قليلاً، يا سيدة ميلوارد! سأخبرك كل شيء بعد ظهر غد، إن شاء الله، عندما سآتي أنا وهيو للزيارة.

- عظيم، أيتها الخبيثة!

- ارتدي غداً أجمل ثيابك يا تيريزا. لدي الأسباب الكافية لتوجيه هذا الطلب. وداعاً الآن، وإلى اللقاء غداً!

أوه، يا لهذا الغموض! ماذا ستواجه غداً، يا ترى؟ إنها تمزح...

١٠ـ الفخ الجميل

استحمّت تيريزا بعد الظهر واختارت أجمل فساتينها، حسب تلك التوصية الغامضة التي قدمتها لها جورجيا في الليلة السابقة. تساءلت لساعات عدّة عن الهدف والمغزى الكامنين وراء ذلك الاقتراح، ولم يتبدّد الغموض والاستغراب إلا عندما شاهدت ماري وليلي وجورجيا يترجلن من سيارة هيو لاسينغ... ويتبعهن في سيارات كثيرة أخرى بقية سيدات المجتمع. أوه، ما أجمل هذه المفاجأة! أتين قادمات للترحيب بها وتقديم أخلص التهاني بزواجها! قالت لها ماري بصوت منخفض:

ـ أقسم لك بأنني لم أعرف شيئاً عن هذه الزيارة للمفاجأة، إلا عندما توقف الجميع أمام البيت وطلبوا مني مرافقتهم. تعمّدت جورجيا عدم إبلاغي مسبقاً، خوفاً من كشف هذا السر الجميل. ارفعي رأسك عالياً، أيتها الصديقة الشجاعة، فأنت بألف خير.

تعرفت تيريزا على وجوه جديدة، وتقبّلت الهدايا الكثيرة التي تدفقت عليها... بالروح الطيبة ذاتها التي قدمت فيها. فيما كانت تفتح هدية ليلي دوات، أحست بأن الدموع تكاد تنهمر من عينيها. قالت لها ليلي ممازحة برفق وحنان:

ـ فات أوان الدموع، يا امرأة، فقد أقدمت على خطوة يصعب جداً التراجع عنها. هل تزوجت سكوت كي تتمكني من اجراء تعديلات جديدة في هذه القاعة؟ لاحظت بمجرد دخولي أن الستائر البشعة تبخرت من مكانها، فهل كان تغييرها السبب في زواجك المفاجيء... أيتها الصديقة اللعينة؟

أجابتها تيريزا بلهجة تمزج بين الجد والمزاح:

ـ قررت الحفاظ لهذا السبب وحده.

ضحكت ليلي، وقالت:

ـ آه، سننتظر بعض الوقت ثم نرغمك على التراجع عن هذه الكلمات المجنونة... في حفلتك المقبلة! موسم الأطفال على أشده في هذه الأيام!

احمرّ وجه تيريزا خجلاً، ولم ينقذها من تعليقات ليلي الساخرة المحببة سوى دخول كلير ودانيال حاملين أطباق الحلوى وفناجين الشاي. شكرت تيريزا جميع السيدات والآنسات على حضورهن وهداياهن، وبدأت... ثرثرة النساء.

غابت الشمس، فهجم الرجال على القاعة. كانوا يمّرون أنفسهم بتمضية تلك الفترة السابقة مع زوجاتهم وخطيباتهم، ولكن غياب سكوت عن البيت حمل سام على الاهتمام بالمشكور في الحديقة الكبيرة. قدّم الرجال واجب الاحترام لزوجة صديقهم الجديدة، وأعربوا عن الأسف الشديد لعدم وجود سكوت في البيت. ثم تحوّل جميع الزائرين، ومعهم ربة البيت لتهنئة هيو وجورجيا بخطوبتهما. وفيما كان الجميع يتحدثون عن موجة الرقص الشعبي التي تعمّ المنطقة في الوقت الحاضر، أعلن سام بشجاعة لم يتوقعها أحد منه،

له خبير في هذا النوع المعين من الرقص. وعندما هزّت له تيريزا رأسها دليل الموافقة الفورية على اقتراحه، رفعت السجادة الكبيرة من أرض القاعة وطلب الجميع من سام عرضاً سريعاً. رقص الرجل المجهول بضع دقائق بمفرده، ثم بدأ الآخرون بالانضمام اليه فرداً فرداً. وبعد حوالي ساعة من الرقص الشعبي، اختار الطبيب الشاب نوعاً آخر من الموسيقى ووجدت تيريزا نفسها فجأة بين ذراعيه . . . فيما وقف الباقون يتفرجون ويراقبون.

أوقف سكوت سيارته أمام المدخل الرئيسي، وتأمل بذهول العدد الكبير للسيارات المتوقفة حول منزله. ركض مسرعاً نحو البيت، ولكنه لم يدخل قاعة الاستقبال على الفور. وقف لحظة مليئة بالغضب والانفعال، وهو يشاهد زوجته والطبيب يقتحمان ذلك المرقص الراقص على انغام موسيقى حالمة ووالهة. شقّ طريقه نحوهما، وربت على كتف عبير قائلاً بهدوء:

- دعني أعلمك طريقة اخرى، ايها العزيز. مرحباً، يا حبيبتي.

شعرت الفتاة بسعادة غامرة تغمر قلبها، وازدادت من سعادتها ونشوتها. هل هي في يقظة ام في حلم جميل؟ لا، انها اليقظة وها هو حبيبها يطوقها بذراعيه القويتين الدافئتين ويقول لها . . . يا حبيبتي!
ابتسمت وقالت له بصوت رقيق ناعم:

- مرحبا، ايها الحبيب.

أعجبه الترحيب الحار من زوجته، فضمها الى صدره بقوة . . . وعانقها. ذابت بين يديه، وارتبكت خطواتها. غضب سكوت الى درجة كبيرة، عندما تصوّر ان هذا الارتباك ناجم عن العاطفة التي تشعر بها . . . وليس بسبب حضوره المفاجىء. انتهت المقطوعة الموسيقية، فابتعد عنه وانحنى رأسه شاكراً الذين صفقوا لها.

شرحوا له هدف الحفلة، فطوق خصر زوجته بذراعه وشكر الموجودين على محبتهم واخلاصهم. لم يلاحظ أحد، سوى الفتاة الملتصقة به، أنه مستاء الى ابعد الحدود. لماذا استخدم كلمة حبيبتي،

اذا لم يكن يحبها؟ لماذا تغيّر مزاجه معها فجأة؟ تمتمت بصوت هامس:

- اللعنة عليك وعلى مزاجك الغريب، أيها المتغطرس! لن يهمني تصرفك بعد الآن!

- ماذا قلت، يا تيريزا؟

ابتسمت له بخبث، وقالت:

- كيف . . . كيف كانت رحلتك؟ هل تمّت الأمور بطريقة مرضية؟

- نعم، شكراً.

- هل قابلت . . . السيدة الجميلة؟

- نعم قابلتها، وهي تبعث لك بتحياتها الحارة وتقول ان لديها لعبة لتشبهك . . . وقد طرزت فيها عشرات الابر. اعذريني الآن، فلدي بعض المعلومات الهامة التي ينبغي اطلاع سام عليها.

غادر الاصدقاء منزل ميلوارد في ساعة مبكرة، ظناً منهم ان سكوت متعب ويريد تمضية السهرة بكاملها مع عروسه الجميلة. فجلس الرجل وصديقته المسنة لشرب فنجان من القهوة، فيما تظاهرت تيريزا بجمع الصحون والأكواب لتظل بعيدة عنه. أمسكت ماتيلدا بذراعها وأحضرتها الى الطاولة، قائلة:

- اجلسي، يا عزيزتي، واشربي قهوتك. اوه، سكوت، كم كانت المفاجأة جميلة ورائعة! سوف تعجبك الهدايا الى درجة كبيرة.

قامت تيريزا من مكانها وتوجهت نحو آلة التسجيل لايقاف الموسيقى. ارتطمت رجلها بأحد المقاعد وكادت تقع على الارض، فقال لها سكوت بلهجة حادة:

- لقد تحركت بما فيه الكفاية هذا اليوم! اجلسي الآن، فأنت بحاجة ماسة للراحة.

قررت مواجهته بعنف بالغ، فصرخت به قائلة:

- انا في بيتي، يا سكوت ميلوارد، وسوف اتحرك بالقدر الذي

أريد. وإذا رفضت، فسأطلب منك أن تحملني إلى سريري. حافظ على قوتك، أيها العزيز، لرحلات أخرى... وأمور أخرى!

صعقت ماتيلدا لسماعها تلك الكلمات القاسية، وقالت لها:

- تيريزا!

قلّد سكوت صوت ماتيلدا ولهجتها، مكرراً اسم زوجته بالطريقة ذاتها. عاد الغليان إلى صدر تيريزا ورأسها، فصرخت به ثانية:

- تيريزا، تيريزا... إني أكره هذا الاسم. تيريزا لن تفعل كذا، تيريزا افعلي كذا، تيريزا نفذي أوامري وتعليماتي، تيريزا إلى الجحيم!

تأملها سكوت بذهول وهي تضرب الأرض بقدميها، وقال لها بنعومة هادئة:

- هل أنت غاضبة، أيها الحبيبة؟ أعتقد أن مزاجك الآن لا يسمح لك برؤية الستائر الجديدة.

حدّقت به بذهول، ثم قالت له بعصبية واضحة قبل مغادرتها القاعة:

- يمكنك الاحتفاظ بستائرك، يا سكوت ميلوارد!

خيّم الصمت الثقيل على تلك الغرفة الكبيرة، ولم تقطعه سوى جملة ماتيلدا الهامسة:

- تصبح على خير.

لم يجبها، فاستدارت نحوه وأضافت ببرودة مزعجة:

- وأخيراً، وجدت من يقدر على منافستك ومواجهتك... أيها العزيز!

- حماقة!

أمضت تيريزا الليل بكامله وهي تفكر بحياتها ومستقبلها، وبالخطوات التي يتحتم عليها القيام بها. ستغادر ويندهورست... نعم ستبتعد عن سكوت لتمنحه الفرصة الكافية لتقييم كافة الحقائق على انفراد... من الطبيعي أن رجلاً قوياً ونشيطاً مثله سيسعى،

عاجلاً أم آجلاً، لإقامة علاقة مع إحدى النساء... ولكنها لن تكون تلك المرأة إلا إذا أحبّها. إذا كان يريد ليلاني، أو أي امرأة أخرى، فليفعل. ستترك له حرية الاختيار، وستحاول قدر المستطاع التغلّب على عذاب الابتعاد عن ماتيلدا... وعنه هو أيضاً.

تمدّدت للانتظار في غرفتها، لحين خروج سكوت من البيت. حضرت ماتيلدا لتطلب منها المساعدة على فتح صندوق الستائر الجديدة، ففعلت ذلك ببرود. علقت الستائر الجميلة الجاهزة، التي لن تتمتع بها في المستقبل القريب. سيفرح بها شخص آخر أو يعمد إلى استبدالها... ماذا يهمها بعد الآن!

لم تدع أحداً يراها عندما امتطت حصانها وتوجهت إلى تلك البقعة الخالية التي تحبها. ستريح نفسها بين أحضان الطبيعة وتقرر بهدوء وسكينة الخطوات الواجب اتخاذها... ولن تعود قبل المساء!

تركت الحصان قرب حافة النهر، وجلست على صخرة كبيرة تتأمل زهرة برية جميلة وتصغي إلى خرير المياه. زادت الغيوم السوداء الكثيفة من انقباضها، وجاء البرق والرعد ليكملا المهمة... وكأن السماء أيضاً بدأت تعاندها. انهمر المطر فجأة، فنزلت عن تلك الصخرة للاحتماء تحت حافة صخرة أخرى. زلّت قدمها فهوت إلى الأرض، وغرقت رجلها حتى الركبة في فتحة عميقة بين حجرين كبيرين. حاولت سحبها، فلم تتمكن.

يا للمصيبة! لا يعرف أحد مكان وجودها، فمن سينقذها؟ لا شك في أن سكوت سيسأل عنها لدى عودته إلى البيت، وسيسعى لمعرفة مكان وجودها في هذا الجو الممطر. ألن يفكر بالاتصال بماري؟ طبعاً سيفعل ذلك، لأن ماتيلدا قلقة وماتيلدا غاضبة؟ هل ستتذكر ماري أن صديقتها تحب تلك البقعة القريبة من النهر؟ ولكن متى سيعود سكوت إلى البيت؟ ربما!

مضت ساعتان تقريباً وهي على تلك الحالة المزرية، لا تعرف ما إذا كان وجهها مبللاً بقطرات المطر أم بدموعها! وفجأة، شاهدت

سكوت... ونظراته التي تشتعل غضباً وحنقاً:

ـ اوه، كم انا سعيدة بقدومك يا سكوت. عرفت انك ستأتي عاجلاً أم آجلاً. بدأت اشعر بالبرد والبلل... والوحدة. أرجوك، لا تغضب مني!

بدا الارتياح على وجهه بمجرد رؤيتها، وقال بلهفة:

ـ لماذا لم تعودي الى البيت او تذهبي الى ماري، عوضاً عن البقاء هنا كطفلة صغيرة غبية...

ـ يؤسفني جداً انني لم أتمكن من ذلك، يا سيد ميلوارد.

لاحظ رجلها العالقة بين الصخور، فربض نفسه بسرعة على ركبتيه وسألها برقة ونعومة:

ـ هل تؤلمك؟

ـ لا... لا... أبداً!

وضع اصابعه الدافئة على ركبتيها، فشعرت بارتعاش في كافة انحاء جسمها. اختفى فجأة ثم عاد بسرعة ومعه سترة اضافية وصندوق اسعافات أولية وابريق شاي. اعطاها فنجاناً ومنديلاً، وقال:

ـ اشربي الشاي وجففي شعرك بهذا المنديل، فيما أحاول انا تخليص رجلك من هذا المأزق.

ـ آسفة على هذا الازعاج الذي سببته لك.

لم يجبها، بل اخرج مقصاً من علبته الكبيرة وراح يحفر به بين الصخور. طلب منها بعد قليل ان تحاول اخراج رجلها، فلم تتمكن. تفحص الكاحل بعناية بالغة، ثم ابتسم مشجعاً وقال:

ـ لدي فكرة رائعة.

طبع قبلة سريعة على جبينها، ثم اضاف قائلاً:

ـ لا تذهبي من هنا... سأعود خلال دقائق.

عاد بعد فترة قصيرة وهو يحمل مطرقة خشبية وازميلاً حاداً، بالاضافة الى معدات صغيرة اخرى.

انحنى قريباً، وقال مازحاً:

ـ سأحاول توسيع هذه الفتحة، كي تتمكني من اخراج هذه الرجل اللعينة. أعدك بالطبع الا تتأذي... اذا اصطدم الازميل بك، أيتها الصبية. آه... هذه قطعة كبيرة... يجب الا ادعها تقع في الحفرة، كيلا تزداد الأمور تعقيداً. أحذرك من مغبة اللاحق عليك مرة اخرى... أوه، عذراً، كدت أصيبك! لن أدعي أبداً بأني نحات ماهر!

ثم تنهد واضاف قائلاً، بدون ان يتوقف عن العمل:

ـ كنت غبياً واعمى القلب والبصيرة، يا تيريزا. حاربت مشاعري وقاومت عواطفي... دونما اي سبب. اعتقد انني تعلقت بك منذ اللحظة الاولى التي شاهدتك فيها، واشعر بالغضب الشديد لانني لم أحفل بذلك الشعور. تصورت في البداية ان الامر يقتصر على الانجذاب، ولكنني تأكدت فيما بعد انه من الاحتفاظ بك... بصورة نهائية. لا اعرف كيف اصف لك قلقي وانقباضي عندما ابلغتني مليندا انك خرجت منذ فترة طويلة. حاولت الاتصال بماري، ولكن خطوط الهاتف كانت مقطوعة. أرسلت العمال للبحث عنك، وتوجهت بالسيارة الى منزل دان. اخبرتني ماري عن مكانك المفضل، فركبت حصاناً وأتيت على جناح السرعة.

ـ أوه، سكوت.

ـ هل تدركين أيضاً انني كنت في جحيم قاتل، عندما اكدت لي انك لا تبادلينني الحب الجارف الذي اكنه لك؟

ارتجفت شفتاها ذعراً وهلعاً، وقالت بتلعثم مرير:

ـ كنت... اعني... هل...

ـ لا تتعبي نفسك يا حبيبتي. يمكنك ان تأتي في وقت لاحق. اما الآن فسوف احاول الكشف عما يجول في رأسي ويرهق قلبي واعصابي. اعتقد ان غروري وغطرستي كانا بمثابة سحابة لأوهامي الماضية، أو لنقل تمنعني من رؤية الأمور على حقيقتها. آه، كم

نشكرك يا ماري ريورك على المعلومات القيمة والبالغة الأهمية التي زودتني بها!
احمرّت وجنتاها بسرعة مذهلة، وقالت بصوت هامس:
ـ اخبرتك ماري... فعبت اليك واخبرتك...
لم تتمكن من اخفاء خجلها، فابتسم لها وقال:
ـ اعرف الآن جيداً السبب الحقيقي الذي دفعني الى فرض خطوبتنا... وزواجنا عليك. انه قلبي، الذي حثني على التعلق بشخص رائع فريد مثلك. كانت غيرتي من تيريك مال تقتلني، وشعرت أيضاً بمرارة عاصفة عندما شاهدتك ترقصين بسعادة وسرور مع السكوني تيم. عاودني الى استماعك هذا الكلام كله، الذي لا يبرز سوى تعلقي معك. تصورت انني جننت حقاً، عندما قالت لي ماري انك تحبينني. لم اصدقها الا عندما اقسمت لي... اوه، تيريزا، انني احبك... احبك كثيراً. اذا كانت ماري على خطأ، لا سمح الله، فلن ارغمك على البقاء معي... يا أعز المخلوقات على قلبي. لن اضيف عليك اعباء جديدة. لديك ملء الحرية في الاختيار، يا حبيبتي.
توقف لحظة، ثم أضاف قائلاً:
ـ ماريندا ايضاً... تحبك كثيراً
ـ سكوت!
ـ نعم، يا تيريزا؟
نسيت اوجاعها وآلامها، فأمسكت بشعره ورفعت رأسه نحوها. شعر سكوت بسعادة فائقة ونشوة عارمة، عندما قرأ جوابها في وجهها وعينيها. رمى العكّازة التي تحملها وضم زوجته الى صدره بحب وحنان، فيما كان قلبه يخفق بسرعة متزايدة ويده تداعب شعرها ورأسها. قال لها:
ـ كانت ماري على حق، اذن. باركها الله، لقد أخذتني الى طريق الصواب. دعيني أسمعها منك، يا حبيبتي، من شفتيك وقلبك على

حد سواء.
لن تحتفظ بوعدها لميندا... لن تبتعد عنه بعد الآن... انها أسعد انسانة في العالم. أغمضت عينيها وقالت له بصوت دافئ رقيق:
ـ احبك، احبك كثيراً، يا سكوت.
ـ متى وكيف حدث هذا التطور الرائع، أيتها الحبيبة الغالية؟ كنت أتصور انك تشمئزين من ملامستي لك. لم تقولي هذا الكلام بنفسك؟ الم ترفضي صداقتي لعدم وجود حب؟
ـ كنت احبك عندئذ... قلت لك ذلك لأنني لم اعرف انك تحبني. لماذا لم تقل لي انك تحبني؟ لماذا لم تطالب مني آنذاك ما طلبه قلبك؟
ـ هل تعنين أننا هدرنا هذا الوقت كله، لأنني كنت سخيفاً جداً ولم أتفوه بهذه الكلمات القليلة... والبالغة الأهمية؟ اقتربي مني، أيتها الحبيبة.
تعانقا طويلاً وتبادلا عهود الحب والهيام...
ـ رجلي، يا سكوت، رجلي!
داعبها، وقال متمتماً:
ـ نعم، يا حبيبتي. انها رجل ناعمة وجميلة جداً، واحبها للغاية.
ـ هل تعلم انها لا تزال عالقة بين الصخور؟
... وضحك الزوجان السعيدان وتعانقا ثانية، قبل أن يعود سكوت الى العمل لاخراج رجل حبيبته.